

الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية
الإدارة المركزية للكتب
والمكتبات والوسائل والمعامل

البلاغة العربية

للصف الأول الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٣ هـ
٢٠٢١ - ٢٠٢٢م

مقدمة

الحمدُ لله الذى أنزلَ القرآنَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الخلقِ، وسيدِ المرسلين وبعد،،

فهذا كتابُ البلاغة العربيةِ للصفِّ الأول الثانوي فى ثوبه القَشيبِ بعدَ التطويرِ الذى يقودُ قاطرتَه فضيلةُ الإمامِ الأكبرِ أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر، وقد انطلقت اللجنةُ فى التأليف مِنْ عدةِ منطلقاتٍ:

١ـ عرض الضوابط البلاغية في مختلف المراحل الثانوية من جُلِّ كتب البلاغة القديمة، وعدم الاقتصار في إيراد القواعد البلاغية على ما ورد عند القزويني، ومن جاءوا بعده بل يمتد ذلك إلى السابقين على القزويني منذ دونت البلاغة في كتب مستقلة، وبذلك نضم في هذا الكتاب كلَّ ما ينمي أذواق الطلاب ويعينهم على إنشاء كلام حرٍّ بليغ.

٢ـ ربط الطلاب بكثير من النصوص البلاغية من القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر والحكمة، وبذلك تزداد القاعدة البلاغية في أذهانهم وضوحًا وانكشافًا، وتهديهم هذه الأمثلة العديدة إلى فهمها فهما جليًّا شفافًا، ومن ثم تُرَبَيِّهم على إنشاء كلام بليغ بديع.

٣ـ الوقوف عند جُلِّ جزئيات الدراسة، والكشف عنها بأسلوب مُيسَّر قريب من أفهام الطلاب؛ لنحبب إليهم هذا الفن الذي هو الأساس في الاطلاع على إعجاز القرآن الكريم، وفهم الكلام العربي فهمًا دقيقًا، والحكم عليه بالجودة أو الرداءة.

٤ـ تقديم موجز يسير عن الملاحظات البلاغية ثم عرض سريع للمدارس البلاغية قديما وحديثًا، وأبرز علمائها، الذين أسهموا بجهد واضح في نشأة علم البلاغة، وتقعيد قواعدها.

٥ـ صدرنا كل درس بالأهداف الخاصة به، وبملخص له، وبإثراءات تتمثل في رصد ما يستحق الملاحظة والانتباه من الطلاب بأسلوب موجز، وتدريبات متنوعة مجابٍ عن كثير منها.

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

الأهداف العامة للكتاب

١ . التعرف على مفهوم الفصاحة والبلاغة، والتفريق بين فصاحة الكلمة، وفصاحة المتكلم.

٢ . التعريف بعلم المعانى وأبوابه.

٣. التعرف على أحوال الإسناد الخبري.

٤ . القدرة على التفريق بين الحقيقة العقلية، والمجاز العقلي.

٥. التعرف على أحوال الإسناد الإنشائي .

٦ . التعرف على أحوال المسند إليه .

٧. التعرف على أحوال المسند .

٨. التعرف على أحوال متعلقات الفعل .

٩ . القدرة على استخراج الأسرار البلاغية من القرآن الكريم والنصوص الأدبية المختلفة.

١٠ . القدرة على الإتيان بأمثلة من خارج الكتاب على القواعد البلاغية التى درسها.

❊ ❊ ❊

الوحدة الأولى

نبذة عن نشأة البلاغة، ومقدمة في الفصاحة والبلاغة، وتعريف علم المعاني، وأبوابه.

أهداف الوحدة الأولى

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يكتب مقالاً عن أشهر من ألفوا في علم البلاغة.

٢. يعد بحثًا يتناول فيه مايتعلق بمفهوم الفصاحة، والفرق بينها وبين البلاغة.

٣. يكتب موضوعًا عن علم المعانى وأبوابه.

٤. يطبق ما درسه على أمثلة ونصوص مقدمة له.

الدرس الأول
(نبذة موجزة عن نشأة البلاغة)

هدف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ . يتعرف أبرز علماء البلاغة عبر العصور المختلفة، ومؤلفاتهم.

٢ . يستشعر الدور الذي قام به علماء البلاغة.

وصف الدرس:

ستتناول في هذا الدرس نبذة يسيرة عن تاريخ علماء البلاغة وأشهر مؤلفاتهم.

شرح الدرس

تمهيد

في العصر الجاهلي كان العرب يتحدثون اللغة العربية بالفطرة الصافية، والسليقة اللغوية النقية، وكانت ألسنتهم مطواعةً لهم لا تلحن، ولا تخطئ في شيء من قواعد العربية بل كانت هذه القواعد تنثال على ألسنتهم بسلاسة، وتتدفق بسهولة دون كد أو تعب.

وظلت الألسنةُ طَيِّعَةً لأصحابها في عصر صدر الإسلام، إلى أن دخل العجم في دين الله أفواجا، فخاف العلماء من تفشي اللحن على الألسنة، فقاموا بجهود واضحة في جمع مواد اللغة العربية من منابعها الصافية من البادية، وبدأت حركة علمية متنوعة تجمع كل ما يتصل بعلوم العربية المختلفة متداخلة بعضها في بعض أول الأمر في الغالب.

ومع مرور الوقت بدأت علوم العربية تنفصل عن بعضها، وصار لكل عِلم رجاله وكتبه المستقلة، وقد مرت علوم العربية جميعها بعدة مراحل:

١ـ مرحلة النشأة. ٢ـ مرحلة النمو. ٣ـ مرحلة الازدهار.

٤ـ مرحلة التقعيد والتقنين. ٥ـ مرحلة إعادة البعث في العصر الحديث.

والبلاغة العربية شأنها شأن بقية العلوم مرت بهذه الأطوار جميعها، وقد رصد علماء البلاغة هذه المراحل المختلفة، وكشفوا عن الطوائف التي كان لها أثر فاعل في نشأتها ونموها وازدهارها، وأبرز العلماء الذين أسهموا في تقعيد قواعدها.

التعريف بأبرز علماء البلاغة عبر العصور المختلفة

١ـ أبو هلال العسكري

هو : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري .

مولده: ولد عام (٣٠٧هـ/ ٩٢٠ م) بمدينة (عسكر مكرم) من كور الأهواز في دولة إيران حاليًا.

نشأته: تتلمذ على يد خاله العلامة أبي أحمد العسكري، ومن تلاميذه الذين رووا عنه : الحافظ أبو سعد السمان، وأبو حكيم أحمد بن إسماعيل بن فُضلان العسكري.

له جهد مميز في مجال البلاغة والنقد والأدب، وبرع كذلك في الفقه، ولكن اتجاه الأدب والبلاغة والشعر كان هو الغالب عليه.

مؤلفاته: من مؤلفاته: كتاب التلخيص في اللغة، وجمهرة الأمثال، والمصون في الأدب، وشرح الحماسة، والمحاسن في تفسير القرآن، وكتاب الأمثال، وكتاب الأوائل وهما مطبوعان، وله أيضا ديوان شعر.

ومن أشهر كتبه: كتاب (الصناعتين الكتابة والشعر) أي: صناعة النثر والنظم، وفيه عرض لمسائل بلاغية كثيرة أفاد منها كُلُّ من جاء بعده كالمحاسن البديعية التي كان مولعًا بها إلى حد بعيد ، وجعل الكتاب ـ كما حكى ذلك في مقدمته ـ مُكَوَّنًا من عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلًا، وتعود شهرة أبي هلال العسكري العلمية لهذا الكتاب.

حالته الاجتماعية: كان رقيق الحال ، ولكنه ـ مع ذلك ـ كان أبي النفس، يأبى السؤال، حتى دعاه ذلك إلى أن يحترف التجارة، وَبَيْع الأقمشةِ ؛ صونًا لكرامته، وابتعادًا عن الدناءة والتبذل.

من شعره:

جُلُوسِي فِي سُوقٍ أَبِيعُ وَأَشْتَرِي ** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَنَامَ قُرُودُ

ولا خَيْرَ فِي قَوْمٍ يُذَلُّ كِرَامُهُمْ ** وَيَعْظُمُ فِيهِمْ نَذْلُهُمْ وَيَسُودُ

وفاته: توفي عام(٣٩٥هـ ـ ١٠٠٥م) في مدينته التي ولد فيها.

٢ـ الإمام عبد القاهر الجرجاني

هو: الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، نحوي، وَمتكلم أشعري، وفقيه شافعي .

مولده: وُلِد في جرجان وهي إحدى المدن الشهيرة بين طبرستان وخراسان بدولة إيران حاليا لأسرةٍ رقيقة الحال عام (٤٠٠هـ) .

نشأته ومكانته العلمية: نشأ وَلُوعا بالعلم، مُحبًّا للثقافة، مقبلا على الكتب يلتهمها، وخاصةً كتب النحو والأدب، كان تلميذًا لأبي علي بن الحسين بن عبد الوارث ابن أخت أبي علي الفارسي، ولم يتتلمذ على غيره؛ لعدم خروجه من موطنه جرجان، كانت له في النحو شهرة واسعة وصيت بعيد ، حتى كان العلماء يرحلون إليه من مختلف الأقطار ليغْتَرفوا من فيضه، وينهلوا من معينه.

ثم اتجه نحو البلاغة ، وتوفر عليها بكل طاقاته، فلم يلبث أن صار زعيم البلغاء، وحجتهم غير منازع ، بما آتاه الله من قريحة وقَّادة، وذكاء نادر، وفكر نافذ على دقائق المعاني، وفيه يقول: (يحيى بن حمزة العلوي) صاحب كتاب الطراز: إن عبد القاهر أول من أسس قواعد علم البلاغة، وأوضح براهينه، ورتب أفانينه، ونَسَّقَ أزْهَاره من أكمامه.

مؤلفاته: من مصنفاته النحوية كتاب (المغني) على شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في نحو ثلاثين مجلدًا، واختصره في شرح سماه المقتصد في ثلاثة مجلدات، وله أيضا في النحو كتاب العوامل المائة، وله في علم الصرف كتاب العمدة، وله في التفسير تفسير سورة الفاتحة في مجلد واحد.

ويعدُّ الإمام عبد القاهر هو واضع علم البلاغة في كتابيه اللذين لا يجود الزمان بمثلهما الأول «دلائل الإعجاز»، وفيه درس نظرية النظم التي سبق بها عصره والتي عرفت فيما بعد بعلم المعاني، وقد ذكر في هذا الكتاب بأسلوب أدبي جُلَّ مسائل علم المعاني بطريقة فنية أدبية تحليلية بارعة، وكل مَنْ جاء بعده كانوا عيالا عليه.

والكتاب الثاني هو «أسرار البلاغة» وفيه استوعب جُلَّ مسائل علم البيان وفنونه الثلاثة التشبيه والمجاز والكناية بطريقته الأدبية التحليلية الفذة، ولكن مسائل علم البديع لم يعرض لها إلا بصورة موجزة في مواطن متناثرة من هذين الكتابين.

ومن محاسنه أنه جعل علم البديع علمـاً ذاتيـاً لا عَرَضيًّا على عكس ما جعله المتأخرون من البلاغيين، وترجع شهرة الإمام عبد القاهر المدوية في سماء البلاغة العربية لهذين الكتابين اللذين تأثر بهما اللغويون الأوروبيون في العصر الحديث.

وفاته: اخْتُلِف في سنة وفاته، وأغلب الآراء أنه مات سنة ٤٧٤هـ وقيل سنة ٤٧١هـ .

٣ـ أبو يعقوب السَّكَّاكِي

هو: العلامة أبو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي.

لقب بالسكاكي؛ لأن أسرته ـ على أرجح الآراء ـ كانت تحترف صناعة المعادن، وخاصة السِّكك وهي المحاريث التي تُفْلَحُ بها الأرض.

مولده: وُلِدَ سنة (خمس وخمسين وخمسمائة هجرية) بمدينة خوارزم، وهي تقع اليوم ضمن دولة أوزبكستان التي كانت إحدى دول الاتحاد السوفيتي القديم.

مكانته العلمية: هو الإمام الجليل، والعالم الضالع في مختلف العلوم حيث كان له نصيب وافر في المنطق والفلسفة وعلم الكلام، وهو أيضا إمام في علوم العربية، وعلمي المعاني والبيان، ومختصر القول فيه أنه ملتقى معارف وعلوم شتى تشهد له بالبراعة والتفوق على من تقدمه .

أشهر مؤلفاته: كتاب «مِفتاح العلوم»، في اثني عشر عِلْمًا من علوم العربية، استوعب فيه الشطر الأكبر من علوم العربية، فبدأ بالصرف، وتوسّطه بالنحو، وأتمه بعلمي المعاني والبيان، وألحق بهما العروض.

وقد نال السكاكي شهرته الفائقة من خلال تأليفه لهذا الكتاب الذي عكف عليه طوائف من العلماء بالشرح والتوضيح والتلخيص، وغلب على كتابه عند عرضه لمسائل المعاني والبيان والبديع صياغته بطريقة منطقية فلسفية أزرى عليها بعض المعاصرين، ويكفي السكاكي فخرًا أنه ضبط معاقد هذا العلم الشريف، ووضعه في قوالب وحدود يحتاج إليها كل متعلم لهذا الفن الأغر.

وفاته : توفي بخوارزم سنة (ست وعشرين وستمائة) من الهجرة.

* * *

٤ـ الخطيب القزويني

هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق.

مولده: ولد بالموصل في العراق سنة (٦٦٦هـ) لَكِنَّ أصلَه من مدينة قزوين في دولة إيران حاليا؛ ولهذا ينسب إليها.

أشهر مؤلفاته: في علم البلاغة كتابان:

الأول: «تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي». الثاني: «الإيضاح في علوم البلاغة».

مكانته العلمية: الخطيب القزويني يُعدُّ من أشهر علماء البلاغة، وهو الذي انتهت قواعد البلاغة على يديه، وكلٌّ من جاء بعده لم يضيفوا لمسائل البلاغة التي أوردها في كتابيه إلا شروحًا وتقريرات وحواشيَ، ولقد قام مجموعة من العلماء بشرح كتابه التلخيص شرحًا وافيًا كما أشرنا قبل ذلك.

وفاته: توفي عام (٧٣٩هـ).

٥ـ بهاء الدين السبكي

هو: أحمد بن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي، يلقب ببهاء الدين، ويكنى بأبي حامد، أخذ العلم عن أبيه شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن السبكي، وعن الأصفهاني، وأبي حيان.

مولده: ولد في مصر عام (٧١٩هـ) في قرية سُبْك الأحد إحدى قرى مركز أشمون محافظة المنوفية حاليا، وإليها ينسب في أسرة اشتهرت بدراسة الفقه وأصوله والتفسير وعلوم العربية.

تولى التدريس بالمدرسة المنصورية، والجامع الطولوني في القاهرة بعد أبيه حين تولى القضاء في الشام، كما قام بتدريس المذهب الشافعي بالمشهد الشافعي، وبجامع الحاكم بأمر الله الفاطمي.

كان غالب أهل مصر يحبونه لما عُرف عنه من علم واسع، وكثرة عطاء للمحتاجين، وكان ـ رحمه الله ـ كثير الحج، والمجاورة لبيت الله الحرام.

أشهر مؤلفاته:

من أشهر مؤلفاته كتاب «عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح»، وهو كتاب في البلاغة بعلومها الثلاثة، وله فيه نظرات ثاقبة، ونقدات جيدة في مسائل كثيرة، وقامت حوله في العصر الحديث دراسات عديدة، ورسائل علمية متنوعة.

وفاته: توفي في مكة المكرمة (عام ٧٧٣هـ).

٦ـ أ.د محمد محمد أبو موسى

هو: العلامة الأستاذ الدكتور محمد محمد حسنين أبو موسى، أستاذ كرسي البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

مولده: ولد عام (١٩٣٧م) في قرية الزوامل البحرية، مركز دسوق في محافظة كفر الشيخ.

نشأته: التحق بالتعليم الأزهري في معهد دسوق الدينى، ثم التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة، وتخرج فيها عام (١٩٦٣م)، ثم حصل على رسالة العالمية الدكتوراه عام (١٩٧١م)، عمل أستاذًا للبلاغة والنقد في جامعة بنغازي في دولة ليبيا، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهو الآن أستاذ كرسي البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالقاهرة .

مكانته العلمية: هو بلا منازع شيخ البلاغيين في عصرنا الحاضر، وهو وريث المدرسة الشاكرية (محمود شاكر) في نَهْجِهَا، وولعها بالثقافة العربية الإسلامية الرصينة، وهو حامل لواء الدعوة إلى دراسة البيان العربي قرآنًا وسنةً وشعرًا ونثرًا، المنافح عنه بكل قوة وجسارة.

وهو صاحب المدرسة الموسوية في البلاغة التي أعادت للبلاغة العربية أمجادها وقوتها وأصالتها، ولقد ألف في شتى المجالات البلاغية.

أشهر مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة منها:

من أسرار التعبير القرآني: دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، خصائص التراكيب : دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، التصوير البياني، الإعجاز البلاغي: دراسة تحليليّة لتراث أهل العلم، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، الشعر الجاهلي: دراسة في منازع الشعراء، وغير ذلك من مؤلفات كثيرة أطال الله لنا في عمره.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول

أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١ – عبد القاهر هو أول من أسس قواعد علم البلاغة. (   )

٢ – أبو يعقوب السكاكي صاحب كتاب (مِفتاح العلوم). (   )

٣ – كتاب أسرار البلاغة ألفه أبو هلال العسكري . (   )

٤ – من أعلام البلاغة المعاصرين د/ محمد محمد أبو موسى. (   )

إجابة التدريب الأول

١ – (√)   ٢ – (√)   ٣ – (×)   ٤ – (√)

التدريب الثانى

ألق الضوء تفصيلا على الإمام عبد القاهر الجرجاني.

التدريب الثالث

اختر الإجابة الصحيحة مما بين الأقواس الآتية.

١ـ الخطيب القزويني له في البلاغة (كتابان ـ ثلاثة ـ كتاب واحد).

٢ـ السبكي توفي عام (٣٩٥هـ ـ ٧٧٣هـ ـ ٦٢٦هـ).

٣ـ ألف د/ محمد أبو موسى كتاب (خصائص التراكيب ـ المجاز ـ الصناعتين).

٣ـ ألف د/ محمد أبو موسى كتاب (خصائص التراكيب ـ المجاز ـ الصناعتين).

٤ـ من أشهر مؤلفات أبو الهلال العسكري. (المغني ـ الإعجاز البلاغي ـ الصناعتين).

إجابة التدريب الثالث

١ـ الخطيب القزويني له في البلاغة (كتابان).

٢ـ السبكي توفي عام (٧٧٣).

٣ـ ألف د/ محمد أبو موسى كتاب (خصائص التراكيب).

٤ـ من أشهر مؤلفات أبو الهلال العسكري. (الصناعتين).

الدرس الثاني
(مقدمة في الفصاحة والبلاغة)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يعرف الفصاحة لغة واصطلاحًا.

٢. يفرق بين الفصاحة والبلاغة.

٣. يفرق بين فصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام مع التمثيل.

٤. يفرق بين تنافر الحروف، وتنافر الكلمات.

٥. يعرف المفاهيم التالية: غرابة الاستعمال، مخالفة القياس الصرفي، ضعف التأليف.

٦. يقارن بين التعقيد اللفظي، والتعقيد المعنوي.

٧. يأتي بأمثلة للمفاهيم التالية: غرابة الاستعمال، مخالفة القياس الصرفي، ضعف التأليف، التعقيد اللفظي، والتعقيد المعنوي.

٨. يفرق بين المفاهيم التالية: فصاحة المتكلم، بلاغة الكلام، بلاغة المتكلم.

وصف الدرس:

يتناول هذا الدرس تعريف الفصاحة لغة واصطلاحًا، وشروط فصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام، وفصاحة المتكلم، وتعريف بلاغة الكلام، وبلاغة المتكلم.

تمهيد:

علم البلاغة من أَجَلِّ العلوم وأشرفها إذ من خلاله نتعرف على أسباب إعجاز القرآن الكريم، وهو يضم بين طياته ثلاثة أقسام: علم المعاني ـ علم البيان ـ علم البديع.

وكل علم من هذه العلوم يختص ببيان جانب من جوانب بلاغة النص، فعلم المعاني يختص بمعرفة كيفية بناء الجمل والتراكيب بناء يتطابق مع مقتضى الحال، وعلم البيان يختص بمعرفة الطرق المختلفة التي يُمْكِن التعبير بها عن المعنى الواحد بأكثر من صورة لفظية، وعلم البديع يهتم بوجوه تحسين الكلام

مع مطابقته لمقتضى الحال، والعلوم الثلاثة تتكامل كلها في الكشف عن القيم الجمالية في النصوص الفصيحة.

وعلم المعاني هو العلم الأول من علوم البلاغة، وهو يسبق في الدراسة علم البيان؛ ولذا بدأ به البلاغيون المتأخرون في كتبهم، وهو ما سنبدأ به هنا أيضا.

ولكن جرتْ عادة المؤلفين في البلاغة العربية حديثًا اقتداء بسنة بلاغية سنها الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)[١] في كتابه الإيضاح ـ وهو محق تماما ـ أن يشرعوا قبل الحديث عن مسائل علم المعاني في الحديث عن معنى الفصاحة والبلاغة والفروق الكائنة بينهما، ونحن جريا على تلك السنة الحميدة سنحذو حذوهم كاشفين عن كل ما يتصل بذلك مدعمين له بشواهد عديدة قرآنية ونبوية وشعرية ونثرية.

شرح الدرس

الفصاحة، والبلاغة:

س ـ إلى أي علم من علوم البلاغة الثلاثة ينتمي درس الفصاحة والبلاغة؟

ج ـ لا يرد هذا الدرس في كتب البلاغيين المتأخرين ضمن أي علم من العلوم الثلاثة بل يأتي درس الفصاحة في كتب البلاغيين مقدمة للعلوم الثلاثة حيث إن البلاغة لا تبحث في الكلام إلا بعد استيفائه شروط الفصاحة.

س ـ ما الذى تصفه بالفصاحة والبلاغة؟

ج ـ تأتي الفصاحة صفة لثلاثة أشياء: للكلمة، وللكلام، وللمتكلم، فيجوز أن تقول: «هذه كلمة فصيحة، وهذا كلام فصيح، وهذا متكلم فصيح» .

أما البلاغة فتكون وصفا للكلام، والمتكلم، ولذا يجوز أن نقول: «هذا كلام بليغ»، و«هذا متكلم بليغ»، ولا يصح أن نقول: «هذه كلمة بليغة»؛ لأن الكلمة المفردة لا توصف بالبلاغة.

وعلى ذلك فالفصاحة تتمايز عن البلاغة بأنها تكون وصفا لثلاثة أشياء للكلمة، والكلام، والمتكلم، والبلاغة تكون وصفا لشيئين للكلام، والمتكلم.

(١) الخطيب القزويني يعد من أشهر علماء البلاغة، وهو الذي انتهت قواعد البلاغة على يديه، وله في البلاغة كتابان الأول «تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي»، الثاني الإيضاح، وكلا الكتابين نالا حظا وافيا قديما وحديثا من الشروح عليهما، وقد ألفهما القزويني بعدما هضم كل المؤلفات البلاغية السابقة عليه وبخاصة كتابي أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز للإمام الفذ عبد القاهر الجرجاني المتوفى (٤٧١هـ).

تعريف الفصاحة:

الفصاحة في اللغة: الظهور والبيان.

وفي اصطلاح البلاغيين: هي عبارة عن الألفاظ الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، المألوفة الاستعمال بين الكتاب والشعراء.

أولا ـ فصاحة الكلمة

تعريفها: هي أن تكون سهلة في النطق، خفيفة على اللسان، كثيرة الاستعمال عند العرب الفصحاء، موافقة للقياس الصرفي.

وعلى ذلك فإن شروط فصاحة الكلمة تتمثل في سلامتها من أربعة عيوب:

أ ـ تنافر الحروف:

وهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع، وصعوبة أدائها باللسان.

وهذا التنافر ينقسم قسمين:

الأول: تنافر شديد مثل قول الأعرابي الذي سئل عن ناقته أين تركها؟ قال: تركتها ترعى «الْهُعْخُع» وهو عُشْبٌ يُرْعَى.

ومثل: كلمة «صَهْصَلِق» بمعنى الرجل الشديد الصوت، وكلمة «طَسَاسِيج» جمع «طَسُّوج» اسم للناحية، ومثل كلمة «اطْرَغَشَّ»، يقال: اطرغَشَّ الْمريضُ، إذا بَرِىءَ من مرضه، كل هذه الكلمات ثقيلة على اللسان؛ لتنافر حروفها.

الثاني: تنافر خفيف مثل: كلمة (مستشزرات) في قول امرئ القيس:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلاَ ** تَضِلُّ الْـمَدَارِي فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ [(١)]

ومعناها: مرتفعات، فعند نطق هذه الكلمة أكثر من مرة تجد صعوبة في تكرارها؛ لأن أصواتها متقاربة مما يجعل اللسان يخطئ في نطقها في حين نرى الكلمة المرادفة لها (مرتفعات) سهلة النطق، ونستطيع تكرارها أكثر من مرة دون تلعثم.

---

(١) غَدَائِرُهُ: الغدائر: جمع غديرة وهي ذُؤاباتُ شعر المرأة الْـمَضْفُورة. تَضِلُّ: تَغيب . الْـمَدَارِي: جمعُ مِدْراة، وهي أَسْنَانِ المُشْطِ التي يُسَرَّحُ بها الشَّعْرُ المُتَلَبِّدُ . المُثَنَّى: الْـمُنْعَطِفُ بَعْضُهُ عَلى بعض. المُرْسَل: المتروكُ على طَبيعَتِه دُون ضَفْرٍ وَلاَ تَثْنِيَةٍ وَلاَ تَجْعِيد.

وليس لهذا العيب ضابط مضطرد يعرف به، سوى الذوق السليم المكتسب من ممارسة أساليب البلغاء والنظر الفاحص في نتاجهم.

ب ـ غرابة الاستعمال:

المقصود بها: أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء، ولا النابهين من الشعراء.

مثل: كلمة (اطلخم) بمعنى اشتد، فكما نرى المرادف مفهوم المعنى بسهولة بينما يصعب فهم معنى كلمة اطلخم، ولو كانت سهلة الاستعمال لشاع استعمالها بين الفصحاء والأدباء.

أنواع الغرابة: الغرابة على نوعين:

الأول: الغريب الوحشي غير مألوف الاستعمال الذي يخفى حتى على الفصحاء في عصور الفصاحة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار له فاجتمع عليه الصبيان فأراد إبعادهم عنه، فقال: «ما لكم تَكَأْكَأْتُمْ عليَّ تَكَأْكُؤكم على ذي جِنَّة افْرَنْقعوا عَنِّي»، يقصد أن يقول: ما لكم اجتمعتم علي اجتماعكم على رجل مجنون ابتعدوا عني، فجاء بألفاظ غريبة لم تتداول على الألسنة، ولا نعرف معناها إلا في المعاجم الكبرى، وكتب الغريب التي تهتم بإيراد معاني هذه الألفاظ، وبما جاء على شاكلتها.

ومن ذلك النوع قول أَحْمد بن جَحْدَر الخُرَاسَاني في مالك بن طَوْق:

حَلَفْتُ بِمَا أَرْقَلَتْ نَحْوَهُ ** هَمَرْجَلَةٌ خَلْقُهَا شَيْظَمُ
وَمَا شَبْرَقَتْ مِنْ تَنُوفِيَّةٍ ** بِهَا مِنْ وَحْي الجِنِّ زِيزَيْزَمُ[١]

فجميع الكلمات التي تحتها خط غير فصيحة؛ لأنها من الغريب الوحشي غير مألوف الاستعمال حتى عند العرب الفصحاء، ويحتاج لمعرفة معناها إلى الكشف عنها في المعاجم الكبرى، فضلًا عن أن فى بعضها تنافر حروف كما هو واضح.

الثاني: أن تكون الكلمة لها معنيان ولا نستطيع الوقوف على المعنى المراد مثل كلمة مسرج في قول رؤبة بن العجاج يصف أنف امرأة:

وَمُقْلَةً وَحَاجِبًا مُزَجَّجَا ** وَفَاحِمًا وَمَرْسِنًا مُسَرَّجَا[٢]

---

(١) أرقلت: أسرعت. همرجلة: ناقة نجيبة سريعة. شبرقت: قطعت الصحراء . تنوفية: صحراء مترامية واسعة الأطراف . وحي الجن: أصواتهم في الصحراء . زيزيزم: حكاية صوت الجن .

(٢) الفاحم: الشعر الأسود، والمرسن بكسر السين وفتحها الأنف.

حيث لم يُعرف مقصد الشاعر في قوله: «مسرجا»، واختلف العلماء في تخريج معنى هذا اللفظ، ولم يجزموا لنا برأي، هل هو مأخوذ من قولهم للسيوف «سريجية» منسوبة إلى عبدٍ يقال له سُريج يريد: أن أنف المرأة في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، أو أن هذا اللفظ مأخوذ من السراج، يريد: أن أنف المرأة في البريق واللمعان كالسراج، ولذا كانت الكلمة غريبة؛ لأن لها معنيين، ولا نستطيع تمييز المراد منهما.

وإنما يعرف هذا العيب ويَسهل التباعد عنه، بكثرة الإطلاع على متون اللغة، وتتبع نتاج النابهين من الأدباء والشعراء، والإحاطة بمعاني المفردات المألوفة.

جـ ـ مخالفة القياس الصرفي:

ومعناه: أن تكون الكلمة غير جارية على قوانين الصرف ، مثل: كلمة الأجْلَلِ في قول أبي النَّجم بن قُدامة:

الْـحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ الأَجْلَلِ ** أَنْتَ مَلِيكُ النَّاسِ ربًّا فَاقْبَلِ

فالشاعر هنا خالف القاعدة الصرفية، حيث فكَّ إدغام الحرفين المتماثلين، والصواب أن يقول: الأجلِّ.

وقس على ذلك كثيرًا من الأمثلة فلا يصح مثلاً: أن تَجْمَعَ كلمة جمعًا مؤنثًا سالمًا، وحقها أن تجمع جمع تكسير، وقد ورد هذا في قول المتنبي:

فَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَة ** فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

فحقه أن يقول: أبواق جمع تكسير، ولا يجمعها جمع مؤنث سالمـًا.

وهذا العيب يدرك بعلم الصرف، فهو حري بمعرفة أقيسة المفردات وصيغ استعمالها، كما استعملها العرب الخلص والذين لم تفسد لغتهم هجنة الأعاجم.

د ـ الكراهة في السمع:

وهو أن تكون الكلمة ممجوجة يُتبرأ من سماعها، كما يُتَبَرَّأُ من سماع الأصوات المنكرة .

مثل كلمة: «الجرشى» في قول أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة:

مُبَارَكُ الاسْمِ أغَرُّ اللَّقَبِ ** كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ

أي: كريم النفس، فلفظ «الجرشى» ممجوج على السمع لا تستلذه الأذن بعكس كلمة النفس.

ومثل ذلك: قول زُهَيْر بن أبي سُلمَى:

تَقِــيٌ نَقِــيٌ لَمْ يُكَـثِّــرْ غَنِيمَــةً ** بِنَهْكَــةِ ذِي قُرْبَــى وَلا بِحَقَلَّــدِ

الحقلد: السيئ الخلق، وهي كلمة قبيحة يكره سماعها:

وهذا العيب يتحاشى عنه بالبعد عن الكلمات التى يكره سماعها ، وذلك يكون بكثرة الاطلاع على متون اللغة والإحاطة بمعاني المفردات المألوفة.

ثانيًا: شروط فصاحة الكلام

يشترط في الكلام الفصيح كي نحكم بفصاحته سلامته من أربعة عيوب:

١ـ تنافر الكلمات:

وهو أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان يصعب النطق بها مجتمعة متوالية.

وهذا التنافر قسمان:

الأول: تنافر شديد متناه في الثقل كما في البيت الذي أنشده الجاحظ:

وَقَــبْرُ حَــرْبٍ بِمَــكَانٍ قَفــرِ ** وَلَيْــسَ قُــرْبَ قَــبْرِ حَــرْبٍ قَــبْرُ

ويتضح ذلك التنافر بعدم استطاعة تكرار نطق البيت بسرعة، وهو مع هذا الثقل ليس وراءه كبير معنى، فالمعنى أن رجلاً اسمه حرب قبره بمكان لا زرع فيه ولا حياة، وأنه مع ذلك لا يوجد قبرٌ قريب من قبره.

فاجتماع (القاف ، والباء ، والراء) فى أكثر من كلمة فى هذا البيت وتتابعها أدى إلى ثقلٍ ظاهرٍ مع أنَّ كل كلمة منه لو أخذت وحدها لكانت غير مستكرهةٍ ولاثقيلةٍ ومن ثَمَّ عُدَّ هذا الكلام غير فصيحٍ ؛ بسبب تنافر كلماته.

الثاني: تنافر خفيف، أو تنافر ليس متناهيًا في الثقل كما في قول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والْوَرَى ** مَعِي وَإِذَا مَا لُــمْتُهُ لُــمْتُهُ وَحْدِي

فإن في قوله: «أمدحه» ثقلاً قليلاً؛ لما بين الحاء والهاء من تنافر، وهذا الثقل نجم عن تكرار الحاء والهاء في كلمتين متتاليتين، فالاجتماع والتتالي أحدث هذا الثقل ولكنه ثقل أخف من الأول، وهذا يتضح بجلاء لمن يتلفظ بكلا البيتين ويجريهما على لسانه كما تحس بذائقتك اللغوية، وحاستك الوجدانية.

ولهذا فإن اجتماع الحاء والهاء في كلمة واحدة ليس بثقيل بدليل أنهما وردا في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق:٤٠]، وكانت الكلمة قمة في الفصاحة فالعبرة بالتوالي والاجتماع.

وإدراك هذا النوع من العيوب سبيله: الذوق الفني السليم.

٢ـ ضعف التأليف:

وهو أن يكون الكلام مخالفًا للمشهور من القواعد النحوية.

ومعلوم ـ لأبنائنا الطلاب ـ أن قواعد النحو العربي منها ما اتفق عليه جميع العلماء دون استثناء كرفع الفاعل، ونصب المفعول، وهلم جرا، ومنها ما اتفق عليه الجمهور من النحاة وخالفه القليل منهم، ومن هنا فإن الكلام الذي يخالف المتفق عليه عند النحاة كأن تنصب الفاعل وترفع المفعول يعد كلامًا فاسدًا باطلاً، والبلاغة لا صلة لها مع الكلام الفاسد نحويا.

أما إذا خالف الكلام المشهور عند جمهور النحاة فهذا هو ضعف التأليف فالفرق بينهما واضح جلي، ولنضرب مثالاً على ذلك، معلوم أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور أي : يعود إلى كلام سابق لا إلى كلام لاحق قال بذلك جمهور النحاة، ولذا وجدنا قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٢٤] تقدم فيه المفعول «إبراهيم» على الفاعل «رَبُّه» حتى يعود الضمير في «رَبُّه» على ما تقدم لفظًا، ومن هنا كانت الآية في قمة الفصاحة؛ ولهذا فإن ما ورد في كلامنا على خلاف تلك القاعدة المشهورة عند جمهور العلماء يُعَدُّ من قبيل ضعف التأليف، ومثل ذلك قول أبي الأسود الدؤلي:

جَزَى «رَبُّه» عَنِّي عَدَيَّ بنَ حَاتِمٍ *** جَزَاءَ الْكِلابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ

حيث عاد الضمير على المتأخر «عدي بن حاتم»، ولذا فإننا نسير مع جمهور العلماء، ونرفض أن يكون هذا الكلام فصيحًا بل فيه ضعف تأليف لمخالفته القواعد المشهورة عند أغلب النحاة.

ومن ضعف التأليف – أيضا – أن ينصب الفعل المضارع أو يجزم ولا وجود في الكلام لأداة النصب أو الجزم مثل قول الشاعر:

انْظُــرَا قَبْــلَ تَلُومَــانِي إِلَى *** طَلَــلٍ بَــيْنَ النَّقَــا والْــمُنْحَنَى (١)

فأصله قبل أن تلوماني فحذف أداة النصب «أن» ونُصب الفعل بدونها، وهذا ممتنع عند الجمهور، ومن ثم ففي الكلام ضعف تأليف .

(١) الطَّلَل: مابقيَ من آثار الدِّيار. النَّقَا، والْـمُنْحَنَى: اسْمانِ لِمَوْضِعَيْن.

ومن ذلك أيضا مجيء الضمير المتَّصِل بعد أداةِ الاستثناء «إلاَّ» .

مثل قول أبي الطيب المتنبي:

لَيْـسَ إلاَّكَ يَـا عَـلِيّ هُمَـامٌ ** سَـيْفُهُ دُونَ عِرْضِـهِ مَسْـلُولُ

فالضمير بعد إلا يجب أن يكون منفصلاً فالواجب أن يقول: «ليس إلا إياك يا علي همام»، ومثل هذا ممتنع عند الجمهور، ومن ثم ففيه ضعف تأليف.

وهذا العيب يعرف بواسطة علم النحو.

٣ـ التعقيد:

وهو أن يكون في الكلام خفاءٌ في الدلالة على المعنى المراد.

وهذا الخفاء ناشئ من سببين:

الأول: من اللفظ، **والثاني:** من المعنى، ولهذا فإن التعقيد قسمان: تعقيد لفظي، وتعقيد معنوي.

أ ـ التعقيد اللفظي:

هو الذي ينشأ من سوء ترتيب الألفاظ وعدم نظمها على وفق ترتيب المعاني في النفس، ومن ثم لا يتمكن السامع من فهم المعنى بسبب سوء ترتيب الألفاظ.

وحتى يصل المعنى المراد إلى السامع بيسر وسهولة وسلاسة يجب أن يسير المتكلم في ترتيب ألفاظه على القواعد المتفق عليها عند النحاة.

فإذا فصل المتكلم بين المبتدأ والخبر، أو بين الموصوف والصفة بفاصل، أو قدم المستثنى على المستثنى منه ... إلخ بدون مقتضى أو سِرٍّ بلاغيٍّ يستدعي ذلك عُدَّ هذا من قبيل التعقيد اللفظي.

وسمي تعقيدًا لفظيًّا؛ لأن عدم وصول المعنى لذهن السامع بيسر وسلاسة مرده لسوء ترتيب الألفاظ فلم ترتب هذه الألفاظ على وفق ترتيب المعاني في النفس وهذا ما وقع فيه الفرزدق في قوله يمدحُ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خالَ الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك:

وَمَـا مِثْلُـهُ فِي النَّـاسِ إلاَّ مُمَلَّـكًا ** أَبُـو أُمِّـهِ حَـيٌّ أَبُـوهُ يُقَارِبُـهُ

أي: لا يشبه إبراهِيم في فضائله وشمائله إلا ابن أخته هشام بن عبد الملك فهذا هو معنى البيت، ولكنَّ الشاعرَ عَقَّده فلم يصل للذهن بسلاسة وسهولة بسبب سوء ترتيب ألفاظه، فإن أصل الكلام، وما مثله في الناس حيٌّ يقاربُه إلاَّ مملَّكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوه، فقَدَّمَ وأَخَّرَ في الكلمات، دون داع ومقتضى مما جعل كلامه كأنه ألغاز.

ومنشأ التعقيد يتمثل هنا في أن الشاعر فصل بين المبتدأ «أبو أمه»، وبين الخبر «أبوه» بلفظ «حي»، وهو أجنبي عنه، وكذلك فَصَل بين «حي» وهو موصوف وبين صفته «يقاربه» بالخبر «أبوه»، وقدم المستثنى «مُمَلَّكًا» على المستثنى منه «حَيٌّ يُقَارِبُهُ»، فهو كما تراه في غاية التعقيد.

ومن ذلك قول الفرزدق يمْدَحُ الوليد بن عبد الملك:

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ *** أَبُوهُ وَلاَ كَانَتْ كُلَيْبٌ تُصَاهِرُهُ

يريد: إلى مَلِكٍ أَبُوه ما أُمُّه مِنْ مُحَارِبٍ الخ، فقدّم وأخّرَ فانْبهَمَ المعنى على السامع.

ومن ذلك -أيضا- قول أحد الشعراء يصِفُ دارًا درَسَتْ وعفَتْ آثارُها:

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطّ بَهْجَتِهَا *** كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمَا

أي: فأصبَحَتْ بعد بَهْجَتِهَا قَفْرا، كأنَّ قَلَمَا خطَّ رُسُومَها، فإنه قدم خبر كأن عليها وهو قوله: (خط) دون داع فانبهم المراد من كلامه.

وسبيل إدراك هذا العيب: هو البصر بعلم النحو.

ب ـ التعقيد المعنوي:

وهو: أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازم من لوازمه ظاهرًا.

ولنضرب مثالاً نقرب به ذلك المعنى لأبنائنا الطلاب فنقول: في باب المجاز المرسل ـ كما ستدرسونه لاحقًا إن شاء الله تعالى ـ اللفظ يعبر به عن معنى ثم ينتقل الذهن تلقائيا إلى المعنى الثاني المفهوم من هذا اللفظ؛ لأنه هو المراد بسبب القرائن الدالة على ذلك، فإذا قلت: «أرسل الأمير عيونه في المدينة» انتقل الذهن من المعنى الأول للعيون، والمراد بها الحواس الباصرة إلى الأشخاص الذين يتلمسون أخبار المدينة وينقلونها للأمير، دل على ذلك قرينة لفظية في الكلام، وهي أن الأمير لا يعقل أن يرسل عيونا حقيقية يقتلعها من أصحابها لتراقب أحوال الناس في إمارته فانتقل الذهن سريعا إلى المعنى الثاني الذي سقناه لك بيسر وسهولة، ومن ثم لا نجد هنا تعقيدًا معنويًّا.

أما إذا قلنا: «أرسل الأمير ألسنته في المدينة»، وأنت تريد الأشخاص الذين ينقلون أخبار المدينة للأمير فإن الذهن لا ينتقل من معنى الألسنة إلى هذا المعنى بيسر وسهولة؛ لأن ذلك غير لازم من الألسنة بل الذي يلزم منها هو إفشاء أخبار الأمير وإذاعتها على الناس، ومن ثم ففي الكلام تعقيد معنوي وسمي بذلك ؛ لأن مرد العيب إلى المعنى، وليس للفظ فالألفاظ مرتبة ترتيبا طبعيا لا خلل فيها ولا عوجا ولا أمتا، ولكن نشأ هذا من جراء المعنى ومن ثم سمي تعقيدا معنويا .

ومثل ذلك التعبير بجمود العين وعدم سكبها للدموع في الفرح، فيقال: جمدت عيني يقصد فَرِحَتْ، وهذا تعقيد؛ لأن جمود العين ليس دليلاً على الفرح، بل قد يكون دليلاً على أشد الحزن.

وعلى ذلك ورد قول العباسِ بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا ❁ وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدا

حيث عبر بجمُود الْعَيْن كنايةً عن حالَةِ السُّرُور التي سَيَنالُها حينما يأتي الْفَرَجُ بالوصْل بَعْد كثرة البكاء، في حين أنَّ جُمُودَ العين يُعبَّرُ بِهِ كنايةً عن شُحِّ العين بالدُّموع عنْدَ حَاجةِ النفس إلى البكاء؛ ليكون في البكاء تخفيفٌ مِنْ آلاَمِ النفس بالفراق، فالشُّحُّ بالدمع يزيد في آلام النَّفس، ولَيْس من العلامات الدّالة على سرورهَا حتَّى يُكنَّى به عنه، ومن هُنا كان في الكلامِ تعقيد معنويٌّ.

والوسيلة لتلافي هذا العيب ومعرفته: هو الإحاطة بمقاييس علم البيان.

٤ـ تتابع الإضافات وكثرة التكرار:

وهي أن تتتابع الإضافات، وتتكرر بعض الحروف حتى تثقل العبارة على اللسان، وتمجها الآذان .

أ ـ تتابع الإضافات، مثل قول ابن بابك:

حَمَامَةَ جَرْعَا حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسْجَعِي ❁ فَأَنْتِ بِمَرْأًى مِنْ سُعَادَ وَمَسْمَعِ [١]

حيث أضاف الشاعر في الشطرة الأولى لفظ حمامة إلى جرعا، وجرعا إلى حومة، وأضاف حومة إلى الجندل، وهذا التتابع في الإضافات جعل الألفاظ ثقيلة على اللسان، وأدى ذلك إلى أن تمجها الأسماع، وتلفظها الآذان .

ب ـ كثرة التكرار، والمراد به كثرة تكرار بعض الحروف، وهذا مثل تتابع الإضافات يخل بفصاحة الكلام. مثل قول أبي الطيب المتنبي:

وتَسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ ❁ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَواهد [٢]

---

(١) البيت لعبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك، الجرعاء: الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها، حومة القتال: معظمه، الجندل: الحجارة، السجع: هدير الحمام ونحوه، والمعنى: يا حمامة جرعاء هذا الموضع اسجعي وترنمي طربًا فأنت بمرأى من الحبيبة ومسمع، فجدير لك أن تطربي إذ لا مانع لك منه.

(٢) قائله أبو الطيب المتنبي، من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان، الغمرة: الشدة. والسبوح: الفرس الحسن الجري على سبيل الاستعارة، وهو مرفوع على أنه فاعل تسعدني، والمعنى: وتعينني على توارد الغمرات في الحروب فرسٌ

والشاهد فيه تكرار أكثر من حرف جر، مما جعل الكلام تمجه الأسماع فكثرة تكرار حروف الجر مع الضمائر بعدها أحدثت هنا ثقلا على اللسان، وكراهة في الآذان، ومن ثم فهي تعد من العيوب المخلة بفصاحة الكلام.

وسبيل إدراك هذا العيب هو البصر بعلم النحو.

ثالثًا: فصاحة المتكلم

هي عند البلاغيين: ملكة راسخة تمكن صاحبها من التعبير عن أغراضه المختلفة، ومقاصده المتنوعة بعبارة فصيحة خالية من عيوب فصاحة الكلمة والكلام.

فلو خلا كلام أي متكلم عربي من عيب من هذه العيوب المذكورة سابقا عندئذ يطلق عليه أنه متكلم فصيح.

وهذه الملكة الراسخة لا تتكون من فراغ بل تحتاج لمعرفة عدة علوم عربية لكي تستقر وتتمكن في نفس صاحبها.

رابعًا: بلاغة الكلام

تمهيد:

البلاغة ـ كما قدمنا ـ تأتي في الكلام وصفا لشيئين للمتكلم وللكلام؛ ولذا يصح أن نقول: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ.

ونورد لك هنا تعريف البلاغيين لهذين العنصرين مع شرحهما. فنقول:

البلاغة في اللغة: هي الوصول والانتهاء، مأخوذة من الفعل الثلاثي «بَلُغَ» بضم اللام على وزن «فَعُلَ».

وهي في اصطلاح البلاغيين: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

وهذا التعريف يحتوي على ثلاثة عناصر:

١ـ الحال: وهو الموقف الذي يستدعي من المتكلم التعبير عنه، والمواقف الحياتية كثيرة غير محصورة، ولفظ الحال هذا يسميه بعض العلماء المقام.

سبوح يشهد بكرمها خصال هي لها منها أدلة عليها» .

٢ـ مقتضى الحال: وهو الخصوصية البلاغية والكيفية التعبيرية التي يعبر بها المتكلم عن هذا الموقف الحياتي، فقد يقتضى الحال توكيد الكلام، ويقتضي حال آخر عدم التوكيد، ويقتضي حالٌ الحذف، ويقتضي حالٌ آخر الذكر، ويقتضي حالٌ التعريف، ويقتضي حالٌ آخر التنكير، ويقتضي حالٌ التقديم، ويقتضي حال آخر التأخير، وهناك مخاطب يقتضي حاله خطابه باللمحة الدالة والإشارة الخاطفة، فيوجز له الكلام، وهناك مخاطب يقتضي حاله تكرار العبارة معه حتى يفهمها وتثبت في ذهنه، فيطنب له الكلام.

وعلى ذلك **فمقتضى الحال:** هو اللفظة أو العبارة المناسبة التي يتلفظ بها المتكلم، والتي تتلاءم مع هذا الحال أو ذاك المقام.

٣ـ مطابقة الكلامِ لمقتضى الحال: هو أن يشتمل كلام المتكلم على هذه الخصوصية السابقة فعلاً، وتكون موجودة في كلامه حقًّا.

وهنا يجب أن نوضح لأبنائنا الطلاب أن هناك فرقًا بين أن تكون على علم بخصوصيات أسرار التوكيد، وعدم التوكيد، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير والإيجاز والإطناب معرفة نظرية، وأن تستخدم هذه المعرفة في موطنها المناسب لها، فهناك من يكون حافظا للقواعد فاهما لها، ولكنه لا يستطيع توظيفها، فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو أن يتمكن الطالب من توظيف ما تعلمه في علم البلاغة في المقام الذي يقتضيه، والغرض الذي يستدعيه، وعند ذلك يقال عنه إنه بلاغي حقا؛ لأن كلامه جاء مطابقا لمقتضى الحال.

هذا، وعبارة «مقتضى الحال» في تعريف البلاغيين السابق فيها دقة شديدة؛ لأنهم لم يقيدوها بمقتضى حال المخاطب بل تركوها مطلقة، فلم يقولوا مثلا: «مقتضى حال المخاطب أو المتكلم»، فعدم التقييد جعل الحال يشمل حالتي المخاطب والمتكلم، فلو لم يُخَاطِبْ المتكلمُ مخاطبا بعينه، وكان يبث في كلامه شَجْوَ نفسه، ومكنون ضميره، يجب أن يكون كلامُه عندئذ ـ أيضا ـ مطابقًا لمقتضى حاله من الحزن والفرح والصحة والمرض، والخوف والألم ... إلخ ما قد يعبر به المرء عن نفسه غير موجه حديثه لغيره.

وقول البلاغيين في التعريف السابق مع فصاحته: كلمة دقيقة؛ لأن الكلام البليغ لا بد أن يكون فصيحًا، فكل بليغ فصيح، وليس كُلُّ فصيحٍ بليغًا، فقد يكون الكلام فصيحًا خاليًا من العيوب السابقة، ولكنه غير مطابق لمقتضى الحال.

وبناء على ما مَرَّ ذكره يكون لدينا أمران:

أحدهما: أن كل بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغا .

الثاني: أن البلاغة في الكلام مرجعها إلى أمرين:

أ- الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد.

ب- تمييز الكلام الفصيح من غيره.

والثانى: وهو تمييز الكلام الفصيح من غير الفصيح، منه ما يُتبين من علم اللغة والمعاجم، أو علم الصرف أو النحو، أو يدرك بالحواس كأن تمجه الأذن، وهو ما سبق كله من عيوب فصاحة الكلمة والكلام، ما عدا التعقيد المعنوي.

وما يحترز به عن الأول أعني الخطأ في تأدية المعنى المراد هو علم المعاني، وما يحترز به عن الثاني: أعني التعقيد المعنوي هو علم البيان.

وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع.

خامسًا: بلاغة المتكلم

وهي في اصطلاح البلاغيين: ملكة تُمَكِّنُ صاحبها من التعبير عما يجيش في صدره، ويعتمل في نفسه بأساليب تطابق مقتضى الحال.

والمراد بالملكة في التعريف السابق الصفة الراسخة في النفس، وهذه الصفة الراسخة في النفس وهبها الله عز وجل جميع العقلاء الناطقين دون استثناء، ولكنها تزيد وتنقص بالدربة والمرانة، وحفظ الكلام الحر البليغ قرآنا وحديثا وشعرا ونثرا.

فمن أراد أن يكون بليغا ضليعا متمكنا عليه بالمداومة قدر ما يستطيع من حفظ الكلام الحر البليغ قرآنا وحديثا شريفا وشعرا ونثرا، وهضمه واستيعابه حتى يكون قادرا على التعبير عن أغراضه بأساليب تتلاءم مع مقتضيات الأحوال.

طرفا البلاغة

اعلموا يا أبنائي الطلاب أن ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول يكون بمطابقته لمقتضى الحال، أما انحطاطه فيكون بعدم مطابقته لمقتضى الحال.

ومن هنا فللبلاغة بالمفهوم السابق طرفان أعلى وأسفل.

فالطرف الأعلى إليه تنتهي البلاغة، وهو حد الإعجاز المتمثل في القرآن الكريم، ثم ما يقرب منه وهو المتمثل في السنة النبوية المطهرة، ثم ما يقرب منه وهو المتمثل في كلام الفحول من الشعراء والأدباء والخطباء.

فالطرف الأسفل منه تبتدىء بلاغة بقية الناس، وهو الذي إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق الكلام عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطرفين الأعلى والأدني مراتب كثيرة متفاوتة جدا هي التي يتأتى عليها كلام كثير من الناس فيما بينهم، والنقاد للكلام يضعون كل شاعر أو أديب أو خطيب في المرتبة التي يستحقها، والدرجة التي هو أجدر بها حسب مقدرته البيانية وملكته البلاغية.

أهمية الذوق السليم في الوقوف على جيد الكلام ورديئه

سبق أن ذكرنا أن كل إنسان جعل الله ـ عز وجل ـ له ذائقة لغوية يدرك بها الكلام المستحسن من المستهجن، وهذه الذائقة تعلو وتهبط، فعلوها يكون بكثرة المرانة والتأمل في حر كلام العرب منثوره ومنظومه، وحفظ الجيد الرائع من الشعر والنثر، ناهيك عن القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهكذا تتربى هذه الملكة الذوقية فتعلو وَتَسْمُقُ[١]، أما لو تخلى الإنسان عن النظر والتأمل في حر الكلام، وحفظه فهي تَسْفُل وَتَهْبِط.

***

(١) تَسْمُق: تطول وتعلو. يقال سَمُق البنات والشجر سموقـًا طال وعلا.

تلخيص الدرس

الفصاحة: هي صفة الكلام الواضح في معناه، الخفيف على اللسان، والسمع، الجاري على قوانين اللغة العربية.

البلاغة: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

فصاحة الكلمة: هي سلامتها من: تنافر الحروف والغرابة، ومخالفة القياس الصرفي، والكراهة في السمع.

فصاحة الكلام: هي سلامته من تنافر الكلمات، وضعف التأليف، والتعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي، وتتابع الإضافات وكثرة التكرار.

تنافر الحروف: وهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها؛ باللسان.

غرابة الاستعمال: أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء، ولا النابهين من الشعراء.

مخالفة القياس الصرفي: أن ترد الكلمة غير جارية على قوانين علم الصرف.

تنافر الكلمات: أي: تتابع الكلمات المتقاربة المخارج مما يجعلها ثقيلة.

ضعف التأليف: هو أن يأتي الكلام مخالفا للقواعد النحوية المشهورة .

التعقيد اللفظي: هو أن يكون الكلام صعب الفهم لعدم ترتيب الكلمات فى اللفظ على وفق المعاني فى النفس.

التعقيد المعنوي: استعمال الكلمة استعمالا خَطأً في الدلالة على المعنى.

فصاحة المتكلم: ملكة تمكنه من التعبير عن أغراضه بكلام فصيح خال من العيوب المذكورة في فصاحة الكلمة والكلام.

بلاغة الكلام: هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته.

بلاغة المتكلم: هي ملكة تمكن صاحبها من التعبير عن أغراضه المختلفة بأساليب تتطابق مع مقتضى الحال.

إثــراءات

لاحظ أن: بلاغة المتكلم هي الملكة التي تمكنه من التعبير عن أغراضه بأساليب تطابق مقتضى الحال.

لاحظ أن: الذوق السليم له دور كبير وأثر واضح على إدراك فصاحة الكلام.

انتبه إلى: أن الفصاحة تكون وصفا لثلاثة أشياء الكلمة والكلام والمتكلم، والبلاغة تكون وصفا لشيئين الكلام والمتكلم.

انتبه إلى: أنَّ التعقيد اللفظي يكون بسبب سوء ترتيب الألفاظ، والتعقيد المعنوي ينشأ من استعمال الكلمة استعمالا خاطئا في الدلالة على المعنى.

مفاهيم: للبلاغة طرفان أعلى وإليه ينتهي حد الإعجاز، وأسفل ومنه يبتدئ كلام الناس.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: اذكر العيب الذي أخل بفصاحة الكلمة فيما يأتي:

١. الهعخع .　٢. تكأكأتم .　٣. النقاخ .　٤. افرنقعوا .　٥. الأعزز .

إجابة التدريب الأول

١ـ الهعخع : في الكلمة تنافر حروف ثقيل.　٢ـ تكأكأتم : في الكلمة غرابة .

٣ ـ النقاخ : في الكلمة غرابة مع تنافر حروف خفيف.

٤ـ افرنقعوا : في الكلمة غرابة.　٥ ـ الأعزز : في الكلمة مخالفة القياس الصرفي.

التدريب الثاني: ضع خطًّا تحت ما أخلَّ بالفصاحة فيما يأتي:

الذي أخل بفصاحة الأبيات الآتية:

لَوْ كُنْتَ كُنْتَ كَتَمْتَ السِّرَّ كُنْتَ كَمَا ⁂ كُنَّا وكنت وَلَكِنَّ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ

أ ـ تناسب الكلمات　ب ـ تنافر الكلمات　جـ ضعف التأليف

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لا تَخُونَنِي ⁂ نَكُنْ مِثْلُ مَنْ ياذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ

أ ـ تعقيد معنوي　ب ـ تعقيد لفظي　جـ ـ تنافر كلمات

وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ ⁂ وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِي جَاهِلُ

أ ـ تنافر الحروف　ب ـ تنافر الكلمات　جـ ـ ضعف التأليف

إجابة التدريب الثاني

لَوْ كُنْتَ كُنْتَ كَتَمْتَ السِّرَّ كُنْتَ كَمَا ⁂ كُنَّا وكنت وَلَكِنَّ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ

أ ـ تناسب الكلمات　ب ـ تنافر الكلمات　جـ ضعف التأليف

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لا تَخُونَنِي ⁂ نَكُنْ مِثْلُ مَنْ ـ ياذِئْبُ ـ يَصْطَحِبَانِ

أ ـ تعقيد معنوي　ب ـ تعقيد لفظي　جـ ـ تنافر كلمات

وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ ⁂ وَيَجْهَلُ عِلْمِي أَنَّهُ بِي جَاهِلُ

أ ـ تنافر الحروف　ب ـ تنافر الكلمات　جـ ـ ضعف التأليف

التدريب الثالث: ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة وإشارة (X) أمام العبارة الخطأ:

١. (   ) من أسباب فصاحة الكلمة خلوها من تنافر الحروف.

٢. (   ) القياس الصرفي معناه جريان الكلمة على غير قواعد اللغة العربية.

٣. (   ) ضعف التأليف معناه مخالفة الكلام للمشهور من قوانين النحو العربي.

٤. (   ) العيب الذى أخل بالفصاحة في قولنا: (كتابه قرأ محمد) تنافر الكلمات.

٥. (   ) لفظة (الخنشليل) بمعنى السيف: فصيحة لخفتها على السمع.

٦. (   ) البلاغة تكون وصفا لثلاثة أشياء.

٧. (   ) ليس للذوق السليم أهمية في إدراك الكلمات الفصيحة من غيرها.

٨. (   ) البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

٩. (   ) للبلاغة طرفان أعلى وأسفل .

إجابة التدريب الثالث

١. (√).   ٢. (X) .   ٣. (√) .   ٤. (X) .   ٥. (X) .

٦. (X).   ٧. (X) .   ٨. (√).   ٩. (√).

التدريب الرابع: عرف المصطلحات التالية:

الفصاحة ـ البلاغة ـ فصاحة الكلمة ـ فصاحة الكلام ـ تنافر الحروف ـ تنافر الكلمات ـ مخالفة القياس الصرفي ـ غرابة الاستعمال ـ ضعف التأليف ـ التعقيد اللفظي ـ التعقيد المعنوى، تتابع الإضافات وكثرة التكرار.

التدريب الخامس: حدد عيوب الفصاحة فيما يأتى:

أ ـ نواكس ـ المشمخرّ ـ حقلّد

ب ـ فلا يُبْرَمُ الأَمْرُ الذِي هُــوَ حَالِلٌ ** ولا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذي هُوَ مُبْرِمُ

جَـزَي رَبُّـه عَنِّي عَـدِيَّ بـن حَاتِمٍ ** جَزَاءَ الْكِلابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ

❊ ❊ ❊

الدرس الثالث

علم المعاني

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يعرف علم المعاني، مع شرح التعريف.

٢. يذكر أبواب: علم المعاني

٣. يحدد موضوع علم المعاني .

٤. يذكر إسهامات كل من الشيخ عبد القاهر الجرجاني، والسكاكي، والخطيب القزويني فى تطور علم المعانى.

٥. يذكر فوائد علم المعاني .

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس تعريف علم المعاني، وأبوابه المختلفة، وموضوعه، وواضع هذا العلم، وفائدته.

شرح الدرس

س: ما تعريف علم المعاني؟

جـ: هو أصول وقواعد يُعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

شرح التعريف: أمامنا في التعريف ركنان أساسيان (الحال ـ مقتضى الحال)، فما معنى كل منهما؟

الجواب:

مر بنا أن الحال: هو الظروف والدواعي التي يورد الكلام فيها، فمن الممكن أن يكون الكلام واحدا، ولكن الظروف تجعل المعنى مختلفا كأن يدخل زوجُ البيت على زوجته فيراها أجمل ما تكون، فيقول مبتسما سعيدا (ماهذا الجمال؟)، ويدخل الزوج نفسه منزله في وقت آخر فيرى زوجته غير مهندمة، وملابسها غير مرتبة فيقول لها (ما هذا الجمال؟) فالعبارة واحدة، ولكن معناها مختلف تماما،

ففي العبارة الأولى اللفظ على حقيقته، وفي الثاني هو يسخر منها؛ لأن العبارة لا تقال خارجة عن الظروف المحيطة بها.

مقتضى الحال: هو الركن الثاني في التعريف، وهو باختصار ما يوجد في التركيب من خصوصيات جاءت في الكلام استجابة لدواعي الحال، فأنت تورد الكلام مصحوبا بالقسم إذا كان المخاطب غير مصدق لكلامك فتقول: والله ما أقول إلا حقا، فالقسم جاء استجابة للموقف.

وعلم المعاني يدرب دارسه على الوقوف على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، كما يدربه على إنشاء أساليب يراعي فيها مقتضى الحال.

موضوع علم المعاني

موضوع علم المعاني هو اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يُطابق مقتضى الحال.

فعلم المعاني يُمَكِّنُ دارسَه من خلال معرفة قواعده وقوانينه من استخدام الأحوال التي تطرأ على اللفظ العربي إظهارًا وإضمارًا، وحذفًا وذكرًا، وتنكيرًا وتعريفًا، وتقديمًا وتأخيرًا، وفصلاً ووصلاً وإيجازًا وإطنابًا وغير ذلك في الموطن الذي يتلاءم معه، وفي الحال الذي يستدعيه، والمقام الذي يقتضيه.

والمراد باللفظ العربي الذي هو موضوع علم المعاني العموم، وليس المقصود به اللفظ الواحد أو الكلمة الواحدة، فهو يشمل الجمل ، والجملة ، وأجزاء الجملة .

واضع علم المعاني

تناوب علماء البلاغة وضعَ بذور علم المعاني، ثم نما وترعرع، حتى أينع بأطايب الثمر، ووصل إلى صورته شبه النهائية على يد الإمام الفذ الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، في كتابه دلائل الإعجاز.

واكتملت قواعد علم المعاني إلا قليلاً جدًا على يد الإمام السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح العلوم، حيث صاغ ما ذكره الإمام عبد القاهر وغيره في قواعد مقننة وحدود محددة، ثم جاء الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) فوضع اللمسات النهائية والأخيرة لهذا العلم في كتابين الأول: التلخيص الذي لخص فيه مفتاح العلوم للسكاكي والثاني: الإيضاح الذي أوضح فيه بعض المواطن الغامضة ذات الاختصار الشديد في كتابه التلخيص، ولم يضف علماء البلاغة بعد القزويني شيئا جديدا على القواعد التي استقرت لديه إلا الشرح والتوضيح.

هذا، وقواعد علم المعاني كلها استمدها علماء البلاغة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعرا ونثرا، فهي قواعد مستمدة من طبيعة هذا اللسان العربي الشريف الذي اختصه رب العالمين وأنزل به المعجزة البلاغية الخالدة القرآن الكريم، ولهذا فإن هذه القواعد جاءت منسجمة مع طبيعة هذا اللسان، متناغمة مع هذه اللغة الشريفة المكرمة.

فائدة علم المعاني

لعلم المعاني فوائد كثيرة منها:

١ـ معرفة إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الوصف، وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب وجزالة كلماته وعذوبة ألفاظه وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته.

٢ـ معرفة ما يستحسن من كلام البشر وما يستهجن منه.

٣ـ توظيف قواعد علم المعاني، وأصوله المختلفة في التعبير عن الأغراض المتنوعة بأساليب تتطابق مع مقتضى الحال.

* * *

ملخص الدرس

علم المعاني: هو أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

الحال: هو الظروف والدواعي التي يورد الكلام فيها.

مقتضى الحال: هو ما يوجد في التركيب من خصوصيات جاءت في الكلام استجابة لدواعي الحال.

علم المعاني: يدرب دارسه على الوقوف على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، كما يدربه على إنشاء أساليب يراعي فيها مقتضى الحال.

موضوع علم المعاني هو اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم من جعل الكلام مشتملاً على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يُطابق مقتضى الحال.

وصل علم المعاني إلى صورته شبه النهائية على يد الإمام الفذ الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، في كتابه دلائل الإعجاز، واكتملت هذه القواعد إلا قليلا جدا على يد الإمام السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح العلوم، ثم جاء الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) فوضع اللمسات النهائية والأخيرة لهذا العلم في كتابيه التلخيص والإيضاح.

استمد علماء البلاغة قواعدها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب شعرا ونثرا.

لعلم المعاني فوائد كثيرة منها:

١ـ معرفة إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الوصف وبراعة التراكيب.

٢ـ معرفة ما يستحسن من كلام البشر وما يستهجن منه .

٣ـ توظيف قواعده، وأصوله المختلفة في التعبير عن الأغراض المختلفة بأساليب تتطابق مع مقتضى الحال.

إثراءات

لاحظ أن: القزويني حصر علم المعاني في ثمانية أبواب على أساس منطقي.

لاحظ أن: اللفظ العربي الذي هو موضوع علم المعاني ليس المقصود به اللفظ الواحد أو الكلمة الواحدة، بل يشمل أجزاء الجملة، والجملة الواحدة، والجمل.

انتبه إلى أن: الباب الأول من أبواب علم المعاني، وهو الإسناد الخبري تتعامل فيه البلاغة مع مضمون الجملة أو الجمل، والباب الثاني والثالث والرابع وهو أحوال المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل يكون البحث فيها في جزء الجملة.

أما الباب الخامس وهو القصر فيكون في جملة كاملة أو عدة جمل وقع فيها القصر.

والباب السادس وهو الإنشاء يتعامل مع الجملة كاملة أو جملتين حسب تأليف العبارة.

والباب السابع وهو الفصل والوصل يكون بين جملتين فأكثر لا محالة، والباب الثامن وهو الإيجاز والإطناب يدخل معظمه في الحديث عن جملة أو عدة جمل.

انتبه إلى أن: دراسة علم المعاني للجمل والجملة الواحدة وأجزاء الجملة ينفي الفرية المستحدثة أن بلاغتنا العربية تهتم بالجملة وأجزائها فحسب.

مفاهيم: علم المعاني أصله علم معاني النحو فحذف المضاف إليه اختصارا.

* * *

تدريبات

التدريب الأول: ضع خطًّا تحت الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

١ـ واضع علم المعاني هو:

أ ـ أبو هلال العسكري ب ـ ابن قُتَيْبَة جـ ـ عبد القاهر الجرجاني

٢ـ فائدة علم المعاني:

أ ـ معرفة إعجاز القرآن ب ـ إعراب أواخر الكلمات جـ ـ الاشتقاق

٣- علم: .... هو أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

أ ـ المعاني ب ـ البديع جـ ـ البيان

إجابة التدريب الأول

١ـ واضع علم المعاني هو: (عبد القاهر الجرجاني)

٢ـ فائدة علم المعاني: (معرفة إعجاز القرآن)

٣- علم: (المعاني) هو أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال.

التدريب الثاني: ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة وإشارة (X) أمام العبارة الخطأ:

١. ( ) استوت قواعد البلاغة في صورتها النهائية على يد القزويني.

٢. ( ) إدراك الكلام المستحسن من عدمه من وظائف علم المعاني.

٣. ( ) علم البيان هو العلم الثالث من علوم البلاغة.

٤. ( ) علم المعاني يدرس اللفظة المفردة فحسب.

٥. ( ) علم المعاني أصله علم معاني النحو حذف المضاف إليه.

٦. ( ) علم المعاني والبيان والبديع هي فنون علم البلاغة فقط.

٧. ( ) لا يوجد تشابه بين تعريف علم البلاغة وعلم المعاني.

٨. ( ) ليس للذوق السليم أهمية في إدراك الكلمات الفصيحة من غيرها.

٩. ( ) علم المعاني هو معرفة أحوال اللفظ العربي التي يطابق مقتضى الحال.

إجابة التدريب الثاني

١. (√). ٢. (√). ٣. (X). ٤. (X). ٥. (√).

٦. (√). ٧. (X). ٨. (X). ٩. (√).

❊ ❊ ❊

الوحدة الثانية

(أحوال الإسناد الخبري)

أهداف الوحدة الثانية

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ . يكتب مقالاً عن الإسناد الخبرى.

٢ . يعد بحثًا يتناول فيه الحقيقة العقلية والمجاز العقلى.

٣. يكتب موضوعًا عن علاقات المجاز العقلى.

٤ . يطبق مادرسه على أمثلة ونصوص مقدمة له.

الدرس الأول

(أحوال الإسناد الخبري)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يعرف الإسناد الخبري.

٢. يعرف الخبر .

٣. يعدد أغراض الخبر مع التمثيل.

٤. يستخرج أغراض الخبر من جمل مقدمة له.

٥. يأتى بأمثلة لأضرب الخبر.

٦. يذكر الأغراض التى يخرج الخبر فيها عن مقتضى ظاهر الحال مع التمثيل.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس مفهوم الخبر، والفرق بينه وبين الإنشاء، ومدار صدق الخبر، وكذبه، وماهية الإسناد، وأركانه، وصور الإسناد الخبري، وأغراض الخبر الأصلية والفرعية، وأضرب الخبر المختلفة، ومجيء الخبر على خلاف مقتضى الظاهر.

شرح الدرس

تمهيد:

الجملة في اللغة العربية إما أن تكون اسمية أو فعلية، والفعلية مكونة من فعل وفاعل، والاسمية مكونة من مبتدأ وخبر، فإذا قلتَ: «ذهبَ محمد إلى المعهد»، و«شرح الأستاذ الدرس»، و «عاد محمد لمنزله»، و «تناول محمد الطعام» فهي جمل فعلية ؛ لأنها مبتدأة بفعل، وإذا قلتَ: «العلم نافع، و «الأزهر ذو مجد تليد»، و«طالب الأزهر حافظ للقرآن» فهي جمل اسمية؛ لأنها مبتدأة باسم .

ومضمون الجملة: هو معناها المراد منها، والذي لا يفهم إلا بضم الفاعل للفعل في الجملة الفعلية، أو بضم الخبر للمبتدأ في الجملة الاسمية، وبدون هذا الضم لا يمكن أن نفهم المعنى مطلقا، فإذا قلتَ في الجمل الفعلية السابقة: «ذهب، وشرح، وعاد، وتناول» ثم سَكَتَّ، ولم تأت بالفاعل بعد كل فعل لم يفهم السامع شيئا، وكذلك الحال في الجمل الاسمية السابقة، فإذا قلت: «العلم، والأزهر، وطالب الأزهر» وسكتَّ، ولم تضم الخبر للمبتدأ لم يفهم السامع شيئا مطلقا، وهذا الضم وما ينشئه من معنى هو ما يسميه البلاغيون الإسناد.

تعريف الإسناد

وعلى ذلك فالمراد بالإسناد عند البلاغيين هو: ضم كلمة إلى أخرى على نحو يفيد هذا الضم معنى يحسن السكوت عليه.

ينقسم الإسناد إلى نوعين اثنين:

أولا: إسناد اسمي، ويقصد به كل ما كان فيه طرفا الإسناد اسمين بصرف النظر عما تقدم من حروف.

ثانيا: إسناد فعلي: ويقصد به كل جملة ابتدأت بفعل بصرف النظر عما تقدم الفعل من حروف، ولا فرق بين أن يكون الفعل مبنيا للمعلوم، أو مبنيا للمجهول، وبغض النظر عن زمن الفعل المتقدم، ماضياكان أو حالا أو استقبالا.

معنى الخبر

تمهيد:

استقرأ البلاغيون الكلام العربي فوجدوه لا يخرج مطلقا عن قسمين: الخبر والإنشاء.

فمثلا حينما تقول: «قرأت الكتاب لسيبويه»، فهو كلام خبري؛ لأنه يحتمل الصدق، ويحتمل الكذب.

ولكن إذا قلت مثلا: «اخرج» أو «ادخل»، فالفعل لم يقع أصلاً حتى يدخل دائرة احتمال الصدق، والكذب، فأنت تطلب إنشاء فعل.

من هنا: قسم البلاغيون الكلام قسمين: خبرًا وإنشاء .

والخبر: هو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته.

أو: هو ما يصح أن تقول للمتكلم به صدقتَ أو كذبتَ؟ فهو بطبيعته يحتمل الأمرين، بغض النظر عن قائل هذا الأسلوب، ولهذا قيد البلاغيون هذا التعريف بقولهم «لذاته» حتى تخرج أخبار الله ـ عز وجل ـ وأخبار رسوله ﷺ فكلها أخبار لا تحتمل إلا الصدق.

ويخرج كذلك من هذا التعريف الأخبار البدهية مثل: «السماء فوقنا»، و«الأرض تحتنا» فهي لا تحتمل إلا الصدق .

ويخرج كذلك من هذا التعريف أخبار الدجالين والمشعوذين ومدعي النبوة مثل : مسيلمة الكذاب فأخبارهم لا تحتمل إلا الكذب.

والإنشاء: هو قول لا يحتمل الصدق ولا الكذب. فهو لم يقع حتى يقال لقائله: صدقتَ، أو كذبت.

وكل أسلوب من هذين الأسلوبين له أغراض ومعان يهدف المتكلم إليها عند استعمال أي منهما كما سيأتيكَ .

معنى صدق الخبر وكذبه

المراد بالخبر الصادق: مطابقة حكمه للواقع.

والمراد بالخبر الكاذب: عدم مطابقة حكمه لهذا الواقع.

فلو قلتَ: «الشمس ساطعة»، و «السماء ممطرة»، و «نجح محمد في الاختبار» و«قَدِمَ محمد من السفر»، وكان مضمون ذلك الخبر مطابقًا للواقع فهو صادق، أما إذا كان مضمون هذا الخبر مخالفًا للواقع فهو كاذب.

وعلى ذلك فصدق الخبر هو مطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية، فالعبرة في الصدق أو الكذب هو النظر إلى الواقع، وليس إلى نية المتكلم كما يرى بعضهم.

أغراض الخبر

تمهيد:

معلوم لكل عاقل أنك إذا تفوهتَ بجملة خبرية لا بد أن يكون لها غرض من وراء تلفظك بها، وإلا صرتَ من المُبَرْسَمِين[(١)] الذين لا يؤبه بأقوالهم، وهنا نظر البلاغيون في الأغراض المرادة من كل كلام

(١) المبرسمين: جمع مفرده: المبرسم وهو الذى يَهْذِي ولا يعقل ما ينطق به.

خبري فوجدوا أن هذه الأغراض تنقسم قسمين: أغراض أصلية للخبر، وأغراض فرعية تستفاد من سياق الكلام.

أولاً: أغراض الخبر الأصلية

للخبر غرضان أصليان:

الغرض الأول: «فائدة الخبر». **الغرض الثاني:** «لازم فائدة الخبر».

وضابط فائدة الخبر: هو إفادة المتكلم المخاطبَ الحكم الذي تضمنته الجملة، وذلك إذا كان المخاطب جاهلاً بمضمونها.

مثل: «الدِّينُ الْـمُعَامَلَةُ» فقد أفادنا النبي عليه السلام بهذا الحديث فائدة كنا نجهلها قبل أن يذكر هذا الخبر.
أي: أن المتكلم أفاد المخاطب حكمًا لم يكن على علم به من قبل.

أو بعبارة أخرى كل معلومة يستفيدها المخاطب من المتكلم، ولم يكن على علم بها من قبل، فهذا يسمى فائدة الخبر.

وضابط لازم فائدة الخبر: أن يكون المخاطب على علم بمضمون الخبر، ولكنه لا يعلم أن المتكلمَ يعلمه، وغرض المتكلم بكلامه عندئذ أن يُعْلِم المخاطب أنه يعلم هذا الموضوع، كأن يكون المخاطبُ يُخفي خبر نجاحه فتقول له: «أنتَ نجحت في الامتحان»، فتعلمه بذلك أنك تعلم، فيكون مراد المتكلم عندئذ (لازم الفائدة) أي: إعلام المخاطب أنه يعلم الخبر.

أغراض الخبر الفرعية

قد يأتي الخبر على خلاف الأصلين السابقين؛ ليفيد أغراضا أخرى بلاغية غير هذين الغرضين الأصليين، وهذه الأغراض المستفادة لا يمكن حصرها، ويُعْتَمَدُ في استخراجها على سياق الكلام، والظروف التي أُلقي فيها، ومن ثم سنورد لأبنائنا الطلاب نماذج من الأغراض البلاغية الفرعية للخبر، وفي كل هذه الأخبار لا يعقل أن يكون المراد بها إفادة السامع فائدة الخبر، ولا لازم فائدة الخبر.

فمن أغراض الخبر الفرعية:

١ـ الاسترحام والاستعطاف مثل: (إني فقير إلى عفو ربي)، ومثله قول الشاعر:

إِلَهِـي عَبْـدُكَ الجـاني أَتَـاكَا *** مُقـرًّا بالذُّنُـوبِ وَقَـدْ دَعَـاكَ

٢ـ إظهار الضعف والخضوع، مثل قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم:٤].

٣ـ إظهار الفرح بمقبل، والشماتة بمدبر، مثل قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١].

٤ـ تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله. مثل: «العالم خير من الجاهل» تقال تشجيعا على طلب العلم، ونفض غبار الجهل.

٥ـ الوعظ والتذكير، مثل قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١] حيث خرج الخبر عن معناه الأصلي إلى الوعظ والتذكير والتوبيخ.

٦ـ التحقير والتهكم والاستهزاء، مثل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[الواقعة:٥٦]. أي: أن هذا العذاب هو أول ضيافتهم يوم القيامة، ففيه سخرية بهم؛ وازدراء لهم ؛ لأن النزل هو ما يقدم للضيف من وسائل الإكرام.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد:١٥] ففي قوله: «مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ» أي: لا ولي لكم ولا ناصر إلا نار جهنم، وهو تهكم بهم، وسخرية منهم، وازدراء لهم.

٧ـ العتاب، مثل قوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١] ففي الخبر عتاب لبعض المؤمنين من قريش الذين يسرون بالمودة لكفار مكة.

٨ ـ التوبيخ، مثل قولك لعاق والديه: «هما والداك» فهو يعرف ذلك، ولكنك توبخه؛ لأنه لم يقم بحقهما على الوجه الأكمل.

٩ـ الوعيد والتهديد: مثل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الشعراء:٦] حيث خرج الخبر عن ظاهره إلى التهديد والوعيد، بمعونة القرائن، ولا يعقل أن يكون المراد به فائدة الخبر أو لازم الفائدة.

١٠ـ التهويل والتفظيع، مثل قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس:١٤] فالتعبير بالدمدمة في الجملة الخبرية في قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ ﴾ [الشمس:١٤] يدل على هول العذاب، وفظاعته وشدته.



١١ـ إظهار التحسر والحزن، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]، فامرأة عمران تعلم أنها وضعت أنثى ، وهي السيدة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، ولكنها تتحسر وتبدي حزنها على عدم إنجابها للذكر الذي كانت وهبته ـ قبل ولادتها ـ لخدمة بيت المقدس، فلما أنجبت ، وجاء الوليد على غير المراد أبدت حسرتها وحزنها.

أضرب الخبر

تمهيد:

أي متكلم بكلام عربي في هذا الكون الفسيح إذا أراد أن يخاطب أحدا بخبر معين فإن هذا المخاطب لا يخرج حالُه وصفتُه عن ثلاث حالات، إما أن يكون خالي الذهن من الخبر الذي يلقيه عليه المتكلم، وإما أن يكون شاكا ومترددا في الخبر الذي يخبره به المتكلم، وإما أن يكون مكذبا ومنكرا للخبر الذي يتحدث به المتكلم، ولا توجد صفة رابعة للمخاطب في هذا الشأن، ولذلك حصر البلاغيون أضرب الخبر في ثلاثة أضرب على النحو الآتي:

أضرب الخبر الثلاثة:

١ـ الضرب الابتدائي: وهو أن يكون المخاطب خالي الذهن من مضمون الكلام الذي يلقيه عليه المتكلم، وهذا يقتضي من المتكلم أن يورد كلامه للمخاطب خاليًا من أي أداة من أدوات التوكيد. مثل: (قام زيد، خرج عمرو، سافر محمد، محمد مهذب، سعيد شجاع، محمود كريم)، وهلم جرا، فالمخاطب في هذه الجمل الخبرية لم يكن شاكًّا ولا منكرًا لمضمونها بل هو جاهل بمعانيها فابتدأه المتكلم بهذا المضمون، فاقتضى ذلك ـ والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ـ أن يأتي الكلام خاليًا من التوكيد.

وسمي هذا الضرب ابتدائيًّا؛ لأن المتكلم ابتدأ المخاطب بحكم لم يكن على علم مسبق به.

ب ـ الضرب الطلبي: وهو أن يكون المخاطب مترددًا أو شاكًّا في مضمون الكلام الذي يلقيه عليه المتكلم، وهذا يقتضي من المتكلم أن يؤكد له الكلام بمؤكد واحد؛ لينزع عنه هذا الشك والتردد، مثل: (قد قام زيد، قد خرج عمرو، إن محمدًا مهذب، إن سعيدًا شجاع)، وهلم جرا.

وسمي طلبيًّا؛ لأن المخاطب لما كان شاكا أو مترددا كأنه طلب بلسان الحال من المتكلم أن ينزع عنه هذا الشك والتردد، فاقتضى هذا الحال تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحكم؛ ليتمكن المعنى من نفسه، ويطرح الشك وراء ظهره.

ج ـ الضرب الإنكاري: وهو أن يكون المخاطب منكرا لمضمون الكلام الذي يلقيه عليه المتكلم، مكذبا له، معتقدًا خلافه، وهذا يقتضي من المتكلم أن يؤكد له الكلام بأكثر من مؤكد على حسب درجة الإنكار قوة وضعفًا؛ لينزع عنه هذا الإنكار، مثل: (لقد قام زيد، لقد خرج عمرو، لقد سافر محمد، إن محمدًا لمهذب، إن سعيدًا لشجاع) وهلم جرا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾[الصافات:٤]، حيث أكدت هذه الجملة الخبرية بإن واللام واسمية الجملة؛ لأن المخاطب منكر.

وأصدق مثال على هذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس١٣ – ١٦]

حيث قال في المرة الأولى: «إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ» مؤكدًا الخبر بمؤكدين: إن واسمية الجملة، ولما زادوا في الإنكار؛ والتكذيب في قولهم: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ زاد الحواريون في المؤكدات في الآية التالية في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ حيث جاء الخبر مؤكدا بأربعة مؤكدات، القسم «رَبُّنَا يَعْلَمُ»، و «إِنَّا» واسمية الجملة، والتوكيد باللام، فزيد التوكيد في الخبر تناسبا مع حال المخاطب.

وسمي الخبر إنكاريـًا؛ لأن المخاطب كان منكرًا مكذبـًا فسمي هذا الضرب بما عليه حال المخاطب.

مجيء الكلام (الإسناد الخبري) على خلاف مقتضى ظاهر الحال

تمهيد:

إذا جاء كلام المتكلمين مع المخاطبين على هذه الأضرب السابقة أي: خلو الكلام من التوكيد لخالي الذهن، وتوكيده بمؤكد للشاك المتردد، وبأكثر من مؤكد للمنكر للمكذب فإن البلاغيين يطلقون على هذا الأمر «مجيء الكلام على مقتضى الظاهر»، كما سبق بيانه.

ولكن قد تقتضي الأحوال المختلفة والمقامات المتنوعة العدول عن مقتضى ظاهر حال المخاطب، ويُورِدُ المتكلمُ الكلامَ على خلاف مقتضى ظاهر حاله، عندئذ يقتضي المقام، ويستدعي سياق الكلام أن لا يعتد المتكلم بهذا الظاهر بل يخاطبه على خلاف ظاهر حاله؛ لاعتبارات وأسرار بلاغية يلحظها المتكلم منها:

١ـ تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل بهما؛ لعدم جريه على موجب علمه، فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل، كقولك: لمن يعلم وجوب الصلاة وهو لا يصلي: «الصلاة واجبة» توبيخا له على عدم عمله بمقتضى علمه.

ومثله: قول الفرزدق لهشام بن عبد الملك لما تجاهل معرفة علي بن الحسين رضي الله عنهما حين رأى الناس قد التفوا حوله في الكعبة فسأل من هذا؟ وهو يعرفه:

هَـذَا ابْـنُ خَـيْرِ عِبَـادِ اللهِ كُلِّهِـمِ ** هَـذَا التَّقِـيُّ النَّقِـيُّ الطَّاهِـرُ الْعَلَمُ

فنزله الفرزذق منزلة الجاهل بفائدة الخبر وهو يعلمه تمام العلم.

٢ـ تنزيل غير السائل منزلة السائل: إذا تقدم في الكلام ما يشير له بحكم الخبر فيستشرف له استشراف المتردد الطالب كقوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود:٣٧]، فإن قوله تعالى: «وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا» يشير باستحقاق قوم نوح العذاب، فجاء الخبر مؤكدا بإن في قوله: ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ تنزيلا لنوح عليه السلام منزلة السائل؛ لأنه تقدم ما يلوح له بالخبر، ومع ذلك رأفة منه ورحمة سأل رَبَّهُ أن ينجي ابنه في قوله: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود:٤٥].

٣ـ تنزيل غير المنكر منزلة المنكر: وذلك إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار كقول «حجل بن نضلة الباهلي» في ابْنِ عَمِّهِ «شقيق» :

جَـاءَ شَـقِيقٌ عَارِضًـا رُمْحَـهُ ** إِنَّ بَنِـي عَمِّـكَ فِيهِـمْ رِمـاحُ

فإن مجيء «شقيق» هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رمحه في يديه مستعرضا به دليل على إعجاب شديد منه بنفسه، واعتقاد أنه لا يقوم إليه أحد من بني عمه كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رماح، فاقتضَى حالُهُ تأكيد الخَبَرَ المُوَجّه له، فقالَ له ابْن عَمِّهِ مؤكّدا: «إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحٌ» .

ومثله قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون:١٥] حيث نزل المخاطبون وهم غير منكرين للموت منزلة المنكرين؛ لظهور أمارات الإنكار عليهم، وغفلتهم عن الموت، وعدم استعدادهم له بالعمل الصالح، وهذا مما يعد من علامات الإنكار؛ ولذلك نزلوا منزلة المنكرين فأكد لهم الخبر بإن واللام واسمية الجملة جريا على غير ظاهر حال المخاطب.

٤ـ تنزيل المنكر منزلة غير المنكر: وذلك يتأتى إذا كان عند المنكر شواهد ودلائل لو تأملها لارتدع وزال إنكاره كما يقال لمنكر الإسلام: «الإسلام حق»، فيورد له الكلام خاليا من التوكيد بالرغم من أنه منكر، وكان حقه أن يؤكد له بأكثر من مؤكد، ولكنه لما استابنت حقائق الإسلام أمامه ولم يؤمن به عاملناه في كلامنا له معاملة غير المنكر.

وعليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣]، فالمخاطبون منكرون للألوهية والوحدانية، ولكن جاء الخبر على خلاف ظاهر حالهم فلم يؤكد لهم بأي مؤكد؛ تنبيها لهم على أن الألوهية والوحدانية لا ينكرها عاقل؛ لوجود الشواهد الدالة على ذلك بوضوح شديد، فبين أيديهم من الدلائل الساطعة، والبراهين القاطعة ما لو تأملوها لاهتدوا للوحدانية.

❋ ❋ ❋

ملخص الدرس

الإسناد الخبري: هو ضم كلمة إلى أخرى على نحو ينشأ من هذا الضم معنى مفيدا.

الخبر: هو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته.

أغراض الخبر

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر.

إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك لازم الفائدة.

وهناك أغراض فرعية يلقى الخبر لأجلها منها:

(١) الاسترحام (٢) إظهار التحسر (٣) إظهار الضعف (٤) التوبيخ

(٥) تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله. (٦) إظهار الفرح بمقبل والشماتة بمدبر.

أضرب الخبر ثلاثة:

(١) ابتدائي: وذلك إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم فلا يحتاج إلى توكيد.

(٢) طلبي: وذلك إذا كان المخاطب مترددا في الحكم يريد اليقين به، فيحتاج إلى توكيد.

(٣) إنكاري: وذلك إذا كان المخاطب منكرا للحكم فيحتاج إلى مؤكدات تزيل إنكاره.

وهذه المؤكدات كثيرة منها (إنّ،أنّ،والقسم، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، وأحرف التنبيه، والحروف الزائدة، وقد، وأما الشرطية، واسمية الجملة بشرط أن تأتي معها أداة توكيد) .

يخرج الخبر عن مقتضى ظاهر الحال لأغراض بلاغية منها:

١. تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل بهما.

٢. تنزيل غير السائل منزلة السائل إذا تقدم في الكلام ما يشير له بحكم الخبر.

٣. تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، وذلك إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار.

٤. تنزيل المنكر منزلة غير المنكر، وذلك يتأتى إذا كان عند المنكر شواهد ودلائل لو تأملها لارتدع وزال إنكاره.

إثراءات

لاحظ أن: الإسناد الخبري يحتمل الصدق والكذب لذاته بخلاف الإسناد الإنشائي فهو لا يحتمل صدقا ولا كذبا .

لاحظ أن: صدق الخبر وكذبه يعود للواقع الخارجي، فلو طابق كلام المتكلم الواقع الخارجي يكون خبره صادقا، ولو خالفه يكون خبره كاذبا .

لاحظ أن: للخبر أغراضا فرعية كثيرة لايمكن حصرها .

انتبه إلى أن: كلام المتكلمين مع المخاطبين إذا جاء على أضرب الخبر الثلاثة أي: خلو الكلام من التوكيد لخالي الذهن، وتوكيده بمؤكد للشاك المتردد، وبأكثر من مؤكد للمنكر للمكذب فإن البلاغيين يطلقون على هذا الأمر «مجيء الكلام على مقتضى الظاهر» .

انتبه إلى أن: الأحوال المختلفة والمقامات المتنوعة قد تقتضي العدول عن مقتضى ظاهر حال المخاطب، ويُورِدُ المتكلمُ الكلامَ على خلاف مقتضى ظاهر حاله، لاعتبارات وأسرار بلاغية يلحظها المتكلم .

مفاهيم: تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته يعد من مجيء الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال.

مفاهيم: توكيد الخبر للمنكر بأكثر من مؤكد يعد من مجيء الكلام على مقتضى ظاهر الحال.

❋ ❋ ❋

التدريبات

التدريب الأول: اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي:

١ ـ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف:٨٨].

(الاسترحام والاستعطاف ـ استنهاض الهمم ـ إظهار الضعف)

٢ ـ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾[التكاثر:١ـ٢].

(العقاب ـ الوعيد ـ الوعظ والتذكير)

٣ـ قال الشاعر:

إِلَهِي عَبْدُكَ الجاني أَتَاكَا ** مُقِرًّا بالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَاكَ

(إظهار التحسر ـ إظهار الضعف ـ الاستغضاب)

٤ـ ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١].

(العقاب ـ التوبيخ ـ الوعيد)

٥ـ نوع الخبر في قول الشاعر:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ** وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَتَكْبُرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ** وَتصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ العْظَائِمُ

(ابتدائي ـ طلبي ـ إنكاري)

٦ـ نوع الخبر في قول الشاعر:

وَإِنِّي لَحُلْوٌ تَعْتَرِينِي مَرَارَةٌ ** وَإِنّي لَتَرَّاكٌ لِمَا لَمْ أُعَوَّدِ

(ابتدائي ـ طلبي ـ إنكاري)

٧ـ نوع الخبر في قول الشاعر:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مِنيَّتِي ** إِنَّ الْمَنَايَا لاتَطِيشُ سِهَامُهَا

(ابتدائي ـ طلبي ـ إنكاري)

إجابة التدريب الأول

١ـ الاسترحام والاستعطاف.

٢ـ الوعظ والتذكير.

٣ـ إظهار الضعف.

٤ـ العتاب.

٥ـ نوع الخبر ابتدائي خوطب به خالي الذهن، مِنْ ثَمَّ خلا من المؤكدات.

٦ـ نوع الخبر إنكاري خوطب به المنكر، مِنْ ثَمَّ حوى أكثر من مؤكد.

٧ـ نوع الخبر طلبي ولذلك أكد بمؤكد واحد في قوله: «إن المنايا».

التدريب الثاني

ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:

١. (   ) الأسلوب الخبري قول لايحتمل الصدق والكذب.

٢. (   ) الأسلوب الإنشائي هو النوع المقابل للأسلوب الخبري.

٣. (   ) الخبر يفيد فائدة الخبر أو لازم الفائدة فقط.

٤. (   ) نوع الخبر في قولنا (ربنا الله) طلبي.

٥. (   ) نوع الخبر في قولنا (إن ربنا هو الله) ابتدائي.

٦. (   ) (إنّ وأنّ) هما أدوات التوكيد فقط.

٧. (   ) تنزيل غير السائل منزلة السائل يأتي على ظاهر الحال

٨. (   ) أضرب الخبر كثيرة لا تنحصر.

٩. (   ) أغراض الخبر الأصلية أكثر من الفرعية .

١٠. (   ) يؤكد الخبر بمؤكد واحد لخالي الذهن

إجابة التدريب الثاني

١. (x).　٢. (√).　٣. (x).　٤. (x).　٥. (x).

٦. (x).　٧. (x).　٨. (x).　٩. (x).　١٠. (x).

التدريب الثالث

صل من المجموعة (أ) ما يناسبه من المجموعة (ب)

أ	ب
ـ الغرض من الخبر في قوله تعالى:(قال نوح رب إنهم عصوني)	ـ أسلوب خبري إنكاري.
ـ قوله تعالى: (إنك لمن المرسلين)	ـ استغضاب الله.
ـ أضرب الخبر	ـ إفادة الفائدة ـ أو لازم الفائدة.
ـ من أغراض الخبر الفرعية	ـ كثيرة منها: الاسترحام ـ والحسرة والضعف، الفخر وغير ذلك.
ـ أغراض الخبر الأصلية	ـ ابتدائي، وطلبي، وإنكاري

التدريب الرابع

اذكر تعريفات المصطلحات التالية:

الخبر الابتدائي ـ الخبر الطلبي ـ الخبر الإنكاري ـ الإسناد الخبري.

إجابة التدريب الرابع

الخبر الابتدائي : هو ما كان المخاطب به خالي الذهن من الحكم فلا يحتاج إلى توكيد.

الخبر الطلبي : هو ما كان المخاطب به مترددا في الحكم ويريد اليقين به، فيحتاج إلى توكيد واحد.

الخبر الإنكاري : هو ما كان المخاطب به منكرا للحكم فيحتاج إلى مؤكدات تزيل إنكاره حسب قوة إنكاره وضعفه.

الإسناد الخبري: هو ضم كلمة إلى أخرى بحيث ينشأ من هذا الضم معنى يحسن السكوت عليه.

التدريب الخامس

املأ الفراغات الآتية بما يناسب مما بين القوسين من الكلمات:

(طلبيا ـ فائدة الخبر ـ ابتدائيا ـ لازم الفائدة ـ إنكاريا ـ السياق)

ـ إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم كان الخبر .... وإذا كان مترددا كان الخبر .... وإذا كان منكرا كان الخبر.............

ـ الخبر إما أن يفيد .... وإما أن يفيد .... وإما أن يفيد أغراضا أخرى يحددها ....

إجابة التدريب الخامس

ـ إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم كان الخبر ابتدائيا، وإذا كان مترددا كان الخبر طلبيا، وإذا كان منكرا كان الخبر إنكاريًّا.

ـ الخبر إما أن يفيد فائدة الخبر، وإما أن يفيد لازم الفائدة، وإما أن يفيد أغراضا أخرى يحددها السياق.

❊ ❊ ❊

الدرس الثاني

(المجاز العقلي)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يشرح تعريف كل من الحقيقة العقلية والمجاز العقلى مع التمثيل .

٢. يقارن بين علاقات المجاز العقلى.

٣. يذكر أمثلة لعلاقات المجاز العقلى.

٤. يستخرج من أمثلة مقدمة له العلاقات التالية: السببية، الزمانية، المكانية.

٥. يقارن بين علاقة الفاعلية والمفعولية.

٦. يذكر الأغراض البلاغية للمجاز العقلي.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس تعريف الحقيقة العقلية، وتعريف المجاز العقلي وعلاقاته المختلفة، وأسراره البلاغية.

شرح الدرس

تمهيد:

تأملْ ـ عزيزي الطالب ـ هذين التعبيرين، ووازن بينهما «سرني محمدٌ»، «سرني الزمانُ»، تلحظ أن فاعل «سر» في التعبير الأول هو «محمد»، وإسناد الفعل «سر» إلى «محمد» إسناد حقيقي؛ لأنه يتأتى منه أن يفعل هذا الفعل، فلم يقع إذن تَجَوُّزٌ في الإسناد، من ثَمَّ فالإسناد في هذا التعبير يسمى إسنادًا حقيقيًّا.

بخلاف فاعل «سر» في التعبير الثاني (الزمان)، فهو لا يتأتى منه أن يقوم بالفعل، فوقع بذلك تجوز في الإسناد، من ثم فالإسناد في هذا التعبير الثاني يسمى إسنادا مجازيًّا. أو بعبارة أخرى يسمى بالمجاز العقلي.

وَبِنَاءً على ما قدمنا لك فإن أي جملة في اللغة العربية أَسْنَدْتَ فيها الفعل أو ما يقوم مقامه إلى الفاعل إما تكون حقيقة عقلية، وإما أن تكون مجازًا عقليًّا، وهو ما سنحدثك عنه تفصيلا فيما هو آت.

أولا: الحقيقة العقلية

تعريف الحقيقة العقلية هي: إسناد الفعل ـ أو ما في معنى الفعل ـ (اسم الفاعل، اسم المفعول، المصدر، الصفة المشبهة، أفعل التفضيل) إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر.

فحينما تقول: «جلسَ محمدٌ»، و «سافرَ عمرو»، و» ذاكر محمود»، و «خالق الكون هو رب العالمين» فالإسناد في هذه الأمثلة على حقيقته؛ لأنك أسندت الفعل أو ما شابهه إلى ما هو له في الظاهر، لا يشك في ذلك أحد.

ومن هنا سمي هذا الإسناد حقيقة عقلية؛ لأن الإسناد هنا لا دخل للغة فيه من قريب أو بعيد بل مَردَّهُ للعقل، فهو المنشئ لهذه العبارات، وما جاء على منوالها، فالعقل وحده دون أدنى تدخل من اللغة هو الفيصل في الحكم على الكلام إن كان حقيقة عقلية، أو مجازًا عقليًّا، والأمثلة الآتية تزيد لك الأمر جلاء.

ثانيا: المجاز العقلي

تمهيد: إذا أسند المتكلم الفعل أو ما في معناه إلى مَنْ يصدر منه حقيقة فهذا حقيقة عقلية، أما إذا أسند المتكلم الفعل أو ما في معناه لغير ما هو له فلا يكون هذا إسنادا حقيقيا بل هو مجاز عقلي؛ لأن الفعل لم يصدر من صاحبه الحقيقي.

وعلى ذلك فالمجاز العقلى عرفه البلاغيون بقولهم: هو إسناد الفعل ـ أو ما في معناه ـ إلى ملابس له غير ما هو له بتأول.

س ـ هل يكون هذا التجوز بغير نظام؟

ج ـ بالطبع لا، ولكن لابد أن تكون هناك علاقة بين الفعل، وما أسند إليه، وهذه العلاقة هي المذكورة في التعريف بلفظة ملابس، ومن هنا كان للمجاز العقلي عدة علاقات.

ثالثا: علاقات المجاز العقلي

١ـ السببية مثل: «بنى الأمير المدينة»، و «الأمير بانٍ المدينة»، حيث أسند الفعل «بنى» وما في معناه، وهو اسم الفاعل «بان» للأمير إسنادا مجازيا عقليا؛ لأن الفعل «بنى» و«بان» أُسند لفاعل ليس له في الحقيقة المركوزة[١] في العقل.

(١) المركوزة: الثابتة المستقرة.

والعلاقة التي سوغت هذا الإسناد هنا هي السببية؛ لأن أصل الجملة «بنى البَنَّاءُ المدينة» فالأمير لم يبن المدينة بنفسه، ولكنه كان السبب في البناء، فلو لم يأمر لما تم البناء، فهذه العلاقة سوغت العدول من الإسناد الحقيقي إلى هذا الإسناد المجازي، والقرينة هنا قرينة عقلية؛ لأنه من المستحيل عرفا وعادة أن يترك الأمير متابعة أحوال إمارته، ويبني المدينة بنفسه.

والسرُّ البلاغي في العدول من الحقيقة إلى المجاز هنا هو إبراز أهمية أمر هذا الأمير، إذ لولاه لما تم البناء البتة.

وعلى ذلك فلكل مجاز عقلي إذن علاقة، وقرينة، وَسَرٌّ بلاغي يدركه المتذوقون للأساليب، ويقف عليه أهل البصر بصناعة الكلام، وقس على ذلك كل الأمثلة التي تأتيك.

ومثله قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[آل عمران: ١٨١]، والمعنى: ستكتب ملائكتنا، ولما كان الله عز وجل لا يكتب، وإنما يأمر ملائكته بالكتابة كما جاء في قوله تعالى ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[الانفطار: ١١]، أسند الفعل إليه سبحانه وتعالى مجازًا؛ لعلاقة السببية.

٢ـ الفاعلية: مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥]، حيث أسند ما في معنى الفعل وهو اسم المفعول (مستورا) إلى ضمير يعود إلى (حجابا)، والقرينة هنا عقلية؛ لأن الحجاب يكون ساترا ولا يكون مستورا، والعلاقة هي الفاعلية؛ لأن الحجاب يفعل الستر وهو الساتر أي: الفاعل لا المفعول به في الحقيقة.

والسرُّ البلاغي لذلك؛ هو المبالغة في الستر والتغطية والإبعاد.

٣ـ المفعولية: مثل قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة:٧] حيث أسند ما في معنى الفعل وهو اسم الفاعل «راضية»، إلى ضمير مستتر تقديره (هي) يعود إلى (عيشة)، والعلاقة بينهما أن العيشة فاعلة الرضا مجازا، والأصل أن يكون الإسناد، والاسم مفعول، فالأصل أن يقال: عيشة مرضية، وفي ذلك إيجاز ومبالغة.

والقرينة هنا قرينة عقلية؛ لأن العيشة أمر معنوي لا ترضى ولا تغضب ولا ترى ولا تفكر.

٤ـ الزمانية: وهي إسناد الفعل إلى زمانه لا إلى صاحبه الأصلي مثل: «محمد ليله قائم»، و «نهاره صائم»، حيث أسند ما في معنى الفعل وهو اسم الفاعل «قائم» في المثال الأول لضمير يعود لليل، وأسند ما في معنى الفعل وهو اسم الفاعل «صائم» في المثال الثاني للنهار، والليل لا يقوم، والنهار لا يصوم بل محمد يظل في الليل مصليا متهجدًا، ويصبح في النهار صائما متعبدا، والسر في ذلك هو المبالغة في شدة حرص محمد على قيام الليل، وصيام النهار حتى شاركه الليل في القيام، والنهار في الصيام.

ومثله قول أبي البقاء الرندي في(رثاء الأندلس)

لِـكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَـا تَـمَّ نُقْصَـانُ ** فَـلا يُغَـرُّ بِطِيـبِ الْعَيْـشِ إِنْسَـانُ

هِـيَ الأُمُـورُ كَـمَا شَـاهَدْتَهَا دُوَلٌ ** مَـنْ سَرَّهُ زَمَـنٌ سَـاءَتْهُ أَزْمَـانُ

حينما نتأمل ما فوق الخط نجد أن فاعل الفعل (سَرَّ) هو كلمة (زمن) والزمان لايتأتى منه أن يفعل السرور، فإسناد السرور إليه مجاز، والعلاقة الزمانية؛ لأن السرور يحدث في الزمان فهو وعاء للحدث، لا فاعل له، وفي العدول عن الحقيقة إلى المجاز إيجاز ومبالغة، ومثله إسناد الفعل «ساء» إلى الفاعل أزمان.

وهذه العلاقة ورد لها أمثلة كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[الإنسان:١٠].

فقوله: «يَوْمًا عَبُوسًا» أسند فيه العبوس إلى اليوم، واليوم لا يكون عابسا متجهما فهذا من إسناد الشيء إلى زمانه لعلاقة الزمانية.

٥ـ المكانية: وهي إسناد الفعل إلى مكانه، من ذلك قول المتنبي:

وَكُلُّ امْـرِئٍ يُولِي الْـجَمِيلَ مُحَبَّبٌ ** وَكُلُّ مَـكَانٍ يُنْبِـتُ الْعِـزَّ طَيِّـبُ

حيث أسند الفعل ينبت إلى ضمير مستتر يعود على (مكان)، والمكان لا يتأتى منه فعل، وإنما هو مكان للحدث، فلهذه العلاقة جاز إسناد الفعل إلى مكانه مجازا عقليا، وفي هذا المجاز إيجاز ومبالغة.

ومثله: «سار الطريق»، و«طريق سائر»، و«جرى النهر»، و«نهر جار»، و«سالت الأباطح»، حيث أسند الفعل أو ما في معناه في هذه الأمثلة إلى المكان.

رابعًا: قرينة المجاز العقلي

كل مجاز عقلي لا بد له من قرينة وهي المعبر عنها في التعريف السابق بقول البلاغيين «بتأول»، وهذه القرينة قسمان:

١ـ **لفظية** : كما في قول أبي النَّجْم العِجْلي من قصيدة من بحر الرجز:

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي *** عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي كَرَأْسِ الأَصْلَعِ *** مَيَّزَ عنه قُنْزُعًا عن قُنْزُعِ

جَذْبُ اللَيَالِي أَبْطِئِي أَوْ أَسْرِعِي *** قُرنًا أُشيبيهِ وقُرنًا فانزعي

أَفْنَاهُ قِيلُ الله للشَّمْسِ: اطْلُعِي! *** حَتَّى إِذَا وَاراكَ أُفْقٌ فارْجِعِي[١].

والشاهد فيه: هو أن إسناد تمييز الشعر إلى جذب الليالي مجاز عقلي لعلاقة الزمانية، والقرينة لفظية في قوله: «أفناه قيل الله للشمس» حيث دلت هذه القرينة اللفظية على أن الشاعر موحد بالله، ويعلم علم اليقين أن الله ـ عز وجل ـ هو المعيد والمبدىء والمنشىء والمفني، وأن جذب الليالي هي زمن لذلك، وليست هي الفاعل على سبيل الحقيقة.

٢ـ **غير لفظية**: كاستحالة صدور المسند من المسند إليه المذكور، أو قيامه به عقلا كقولك: «محبتك جاءت بي إليك»؛ لاستحالة قيام المحبة بالمجئ عقلا، فلا يستطيع أحد من المحققين، وغير المحققين الادعاء بأنه يجوز قيام المحبة وهي أمر معنوي بالمجيء؛ لأن العقل إذا خلي ونفسه يعد إسناد المحبة إلى المجيء محالا. أو استحالة صدور المسند من المسند إليه المذكور، أو قيامه به عادة كقولك: «هزمَ الأميرُ الجندَ» ؛ لاستحالة قيام انهزام الجند بالأمير وحده عادة وإن كان ممكنا عقلا، ومثله «كسا الخليفةُ الكعبة»، «وبنى الوزير القصر» .

(١) الصلع: انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر في تلك البقعة. ميز: فصل. القنزعة: الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي، أو هي ما ارتفع من الشعر وطال، أو الشعر حوالي الرأس جمعها قنازع. جذب الليالي: مضيها واختلافها. واراك: المواراة الستر. ومعنى الأبيات: أن هذه الحبيبة يعني أم الخيار زوجته أصبحت تدعي علي ذنوبا لم أرتكب شيئا منها لرؤيتها رأسي كرأس الأصلع لكبري وشيخوختي ميز مر الأيام ومضى الليالي الشعر الذي بقى حوالي الرأس وجوانبه بعضه من بعض.

خامسًا: هل يقع المجاز العقلي في القرآن؟

ج ـ نعم وقع المجاز العقلي في القرآن وهو فيه كثير، كما مَرَّ مِن الأمثلة، ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف:٢٧]، حيث أُسند النزع الذي هو فعل الله ـ تعالى ـ إلى إبليس؛ لأنه سبب الأكل من الشجرة وما ترتب على ذلك.

❋ ❋ ❋

ملخص الدرس

الحقيقة العقلية هي:

إسناد الفعل ـ أو ما في معنى الفعل ـ (اسم الفاعل، اسم المفعول، المصدر، الصفة المشبهة، أفعل التفضيل) إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر.

المجاز العقلي:

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول.

من علاقات المجاز العقلي:

ـ **السببية**: هي إسناد الفعل للسبب الآمر به .

ـ **الفاعلية**: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى الفاعل.

ـ **المفعولية**: إسناد الفعل أو ما في معناه لمفعوله.

ـ **الزمانية**: إسناد الفعل أو ما في معناه لزمانه.

ـ **المكانية**: إسناد الفعل أو ما في معناه لمكانه.

الأغراض البلاغية للمجاز العقلي:

أ ـ الإيجاز ب ـ المبالغة

إثراءات

لاحظ أن: المجاز العقلي كما يكون في الأساليب الخبرية يكون أيضا في الأساليب الإنشائية

لاحظ أن: كل مجاز عقلي لا بد له من علاقة وقرينة وسر بلاغي .

انتبه إلى أن: المجاز العقلي ورد في القرآن الكريم في آيات كثيرة.

انتبه إلى أن: المجاز العقلي مرده في إدراكه ومعرفته للعقل لا للغة، ومن هنا سمي مجازًا عقليا.

مفاهيم: الزمانية هي إسناد الفعل لزمانه، والمكانية هي إسناد الفعل لمكانه.

مفاهيم: السببية هي إسناد الفعل للسبب الآمر به.

* * *

التدريبات

التدريب الأول: اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي:

١ـ نوع العلاقة في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾[الطارق: ٦]

(المكانية ـ الفاعلية ـ المفعولية)

٢ـ نوع العلاقة في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧]

(المكانية ـ الفاعلية ـ الزمانية)

٣ـ نوع العلاقة فيما تحته خط فيما يأتي:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلا ** وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تزوِّد

(المكانية ـ الفاعلية ـ الزمانية)

٤ـ نوع العلاقة في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات: ١٤٢]

(السببية ـ الفاعلية ـ المفعولية)

إجابة التدريب الأول

١ـ نوع العلاقة المفعولية.

٢ـ نوع العلاقة الزمانية.

٣ـ نوع العلاقة الزمانية.

٤ـ نوع العلاقة المفعولية .

التدريب الثاني

ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:

١. (   ) المجاز العقلي يسند فيه الفعل أو ما في معناه لغير ما هو له.

٢. (   ) علاقة المجاز في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧] الزمانية.

٣. (   ) المجاز العقلي قد يفيد الإيجاز والمبالغة.

٤. (   ) المجاز العقلي يكون في الألفاظ، لا في الإسناد.

٥. (   ) المجاز العقلي يعرف عن طريق اللغة.

٦. (   ) المجاز العقلي ليس له قرينة يعرف بها.

٧. (   ) المجاز العقلي يعد من مجيء الكلام على مقتضى ظاهر الحال.

٨. (   ) المجاز العقلي لا فرق بينه وبين المجاز اللغوي.

إجابة التدريب الثاني

١. (√).   ٢. (√).   ٣. (√).   ٤. (x).

٥. (x).   ٦. (x).   ٧. (x).   ٨. (x).

التدريب الثالث

صل من المجموعة (أ) ما يناسبه من المجموعة (ب)

أ	ب
ـ المجاز العقلي له غرضان بلاغيان	ـ المجاز العقلي.
ـ المجاز العقلي يأتي في	ـ القرآن والشعر.
ـ المجاز العقلي ورد في	ـ الإسناد الخبري والإنشائي.
ـ السببية من علاقات	ـ لزمانه.
ـ الزمانية هي إسناد الفعل	ـ الإيجاز والمبالغة.

التدريب الرابع

اذكر تعريفات المصطلحات التالية: المجاز العقلي ـ الحقيقة العقلية ـ السببية ـ المفعولية

التدريب الخامس

املأ الفراغات الآتية بما يناسب مما بين القوسين من الكلمات:

(المفعولية ـ الخبري ـ الشعر ـ الإنشائي ـ الفاعلية ـ الزمانية ـ المكانية)

ـ يقع المجاز العقلي في الإسناد .... ويقع أيضا في الإسناد .... ويرد في القرآن الكريم ويرد أيضا في ....

ـ المجاز العقلي له علاقات منها .... و .... و .... و ....

إجابة التدريب الخامس

ـ يقع المجاز العقلي في الإسناد الخبري ويقع أيضا في الإسناد الإنشائي ويرد في القرآن الكريم، ويرد أيضا في الشعر.

ـ المجاز العقلي له علاقات منها المفعولية ـ والفاعلية ـ والزمانية ـ والمكانية).

* * *

الوحدة الثالثة

أحوال الإسناد الإنشائي

أهداف الوحدة الثالثة:

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يكتب مقالاً عن الإسناد الإنشائي.

٢. يُعدُّ بحثًا يتناول فيه الفرق بين المعاني المجازية للأمر والنهي.

٣. يُكتُب موضوعًا عن المعاني المجازية للاستفهام

٤. يطبق ما درسه على أمثلة ونصوص مقدمة له.

الدرس الأول

(الإنشاء الطلبي وغير الطلبي)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يعرف الإنشاء: لغة واصطلاحا .

٢. يفرق بين أقسام الإنشاء.

٣. يأتى بأمثلة لأساليب الإنشاء الطلبي.

٤. يستخرج من نصوص وجمل مقدمة له أساليب الإنشاء غير الطلبي.

٥. يأتى بأمثلة صيغ الأمر.

٦. يذكر المعاني المجازية للأمر مع التمثيل.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس تعريف الإنشاء لغة واصطلاحا، وبيان أقسامه وتعريف كل قسم، ومفهوم الأمر، وصيغه، ومعانيه المجازية.

شرح الدرس

س: ما معنى الإنشاء؟

ج: الإنشاء معناه الإيجاد، وهذا يعنى أن الأساليب الإنشائية هي طلب لإيجاد أشياء ليست موجودة، فحينما أقول: اخرج، الخروج ليس متحققًا، وأنا أطلب من المخاطب إنشاءه، أي: إيجاده.

س: أسلوب الإنشاء له قسيم آخر من الأساليب فما هو، وما معناه؟

ج: الإنشاء قسيم[1] الخبر، والخبر معناه أن الشيء موجود ومتحقق، فحينما أقول: «نجح علي»، فهو إخبار عن فعل موجود، وهذا الفعل قد يحتمل الصدق، وقد يحتمل الكذب، بالنظر إلى الأسلوب ذاته، فإذا أردت أن أحوّل الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء أقول: هل نجح علي؟ .

(١) قسيم: مقابل .

س: ما الفرق بين الأسلوبين؟

ج: الفرق واضح فالأسلوب الإنشائي لايمكن أن يحتمل صدقا ولا كذبا؛ لأن الفعل غير متحقق أصلا، أما الخبر ـ كما سبق شرحه لأبنائنا الطلاب ـ فيحتمل الصدق والكذب بحسب الأسلوب.

مما مضى يتبين لنا تعريف الإنشاء:

الإنشاء: لغة: الإيجاد.

واصطلاحا: هو قول لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي: لا ينسب لقائله صدق أو كذب.

أقسام الإنشاء:

ينقسم الإنشاء باعتبار المعنى قسمين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.

الإنشاء الطلبي: هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، فحينما أقول: هل جاء الطالب؟ هل خرج محمد من المعهد ؟ فأنا أطلب جوابا، وهذا المطلوب غير متحقق وقت الطلب.

الإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، فحينما أقول: «نعم الرجل محمد»، أنا لا أطلب بهذا الأسلوب، ولكني أمدح.

فمدار الفرق بين النوعين أن الأول يستدعى مطلوبـاً والثانى لا يستدعى مطلوبـاً.

ولكل قسم من هذين القسمين أساليبه الخاصة به:

أولا: أساليب الإنشاء الطلبي

الإنشاء الطلبي له خمسة أساليب هي: (الأمر ـ النهي ـ الاستفهام ـ التمني ـ النداء)، وهذه الأساليب أولاها البلاغيون اهتماما كبيرا؛ لما فيها من دقائق المعاني، ولطائف الدلالات، وستأتيك مفصلة بعد قليل.

ثانيا: أساليب الإنشاء غير الطلبي

الإنشاء غير الطلبي له عدة أساليب هي:

١. صيغ المدح والذم، مثل: (نعم وبئس)، وما يقوم مقامهما.

٢. صيغ العقود، مثل: (بعت، واشتريت) وغير ذلك.

٣. صيغ القسم، مثل: (والله ـ بالله ـ تالله) وغير ذلك.

٤. صيغ التعجب، مثل: (ما أفعل ـ وأفعل به).

٥. صيغ الرجاء، مثل: (عسى ـ لعل).

٦. صيغة "رُبَّ"، وغير ذلك من الصيغ التي لا يراد بها طلب شيء.

وهذا القسم لم ينل عناية من البلاغيين في علم المعاني، وإنما قصروا جهودهم على الإنشاء الطلبي بأنواعه الخمسة السابقة التي سنكشف لأبنائنا الطلاب عن كل ما يتعلق بها الآن تباعا.

أولا: أسلوب الأمر وأغراضه البلاغية:

المعنى الحقيقي للأمر: طلبُ حصولِ الفعل من المخاطَبِ على سبيلِ الاستعلاءِ.

فحينما يقول الأستاذ لتلميذه «قم»، يكون هذا أمرا حقيقيا؛ لأنه صادر من الأعلى وهو الأستاذ للأدنى، وهو التلميذ.

ولكن حينما يقول العبد لربه: «رب اغفر لي»، لا يكون هذا أمرًا بمعناه الحقيقي، وإنما يكون خارجًا عن هذا المعنى الحقيقي إلى معنى من المعاني المجازية التي ستعرفها بعد قليل.

صيغ الأمر

للأمر في اللغة العربية أربع صيغ هي:

١ـ فعل الأمر مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

٢ـ المضارع المقترن بلام الأمر الساكنة، مثل قوله تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ [النور:٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٢].

٣ـ اسمُ فعلِ الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥] «فعليكم» هنا اسم فعل أمر معناه: الزموا.

٤ـ المصدرُ النائبُ عن فعلِ الأمرِ، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾[محمد:٤]، فالمصدر «ضَرْب» بمعنى فعل الأمر اضرب، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾[البقرة:٨٣]، فالمصدر إحسانا هنا بمعنى الأمر: أي: أحسنوا.

المعاني المجازية للأمر:

لا يرد الأمر في لغة العرب على حقيقته دائما من (الإيجاب والإلزام)، وإنما يخرج كثيرا إلى معان مجازية تستنبط هذه المعاني من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني المجازية:

١ـ الدعاء: وعلامته أن تستعمل صيغة الأمر في مقام التضرع، مثل قوله تعالى:

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩]، ففعل الأمر أوزعني: معناه: أعنِّي، ولا يمكن أن يكون ذلك أمرًا حقيقيًّا؛ لأنه طلب من العبد الأدنى إلى الرب الأعلى على سبيل التضرع والتذلل، فخرج الأمر عن حقيقته إلى الدعاء.

ومثله أيضا صيغ الأمر التي تحتها خط في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فصيغ الأمر السابقة كلها خرجت عن حقيقتها من الإيجاب والإلزام إلى التضرع والدعاء؛ لأنها صادرة من الأدنى وهو الإنسان إلى الأعلى، وهو الرحمن خالق الإنسان سبحانه وتعالى.

٢ـ الالتماس: وعلامته: أن يكون الأمر فيه موجها من المساوي لمن يساويه كقول الطالب لزميله: «أعطني القلم»، وكقول الصَّدِيقِ لصَدِيقه: «أعِرْنِي كتابَكَ» .

٣ـ التهديد: وعلامته أن تأتي صيغة الأمر في مقام عدم الرضا بالمأمور به، كما تسمع من مدير مصلحة يقول لأحد مرؤوسيه: افعل ما بَدَا لك، أو من الأب لابنه: «دم على عصيانك فالعصا أمامك»، فليس المراد من الأمر في الموضعين الامتثال أي: فعل المأمور به، ولكن المراد هو التهديد والوعيد.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت: ٤٠]، فليس الأمر «اعْمَلُوا» هنا إباحة لعمل المعاصي، بل هو تهديد للعصاة، ووعيد لهم حتى يقلعوا عن الإلحاد، ويكفوا عن العناد، وكأن الله سبحانه وتعالى لشدة غضبه عليهم يأمرهم بما يوجب عقابهم؛ لينكل بهم أشد تنكيل.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، فليس المراد بالأمر في قوله: «تمتعوا» الامتثال، بل المراد: الزجر والوعيد والتهديد حتى يقلع هؤلاء عما هم فيه من شرك وعناد ومكابرة.

٤ـ الإباحة: وعلامته: أن تستعمل صيغة الأمر، حيث يَتَوَهَّمُ المخاطب عدم جواز الإتيان بالشيء، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [البقرة: ١٨٧] فليس معنى الأمر في قوله: كُلُوا وَاشْرَبُوا لوجوب الأكل والشرب بل هما للإباحة، أي: إباحة الأكل والشرب في ليالي الصيام حتى الفجر.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨]، فالأمر في قوله: «كلوا» للإباحة .

٥ـ التخيير: وعلامته: أن تستعمل صيغة الأمر، حيث يَتَوَهَّمُ المخاطب جواز الجمع بين شيئين فتخيره في أحدهما، كقولنا: تزوجْ هندًا أو أختها.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء:٣]، فالأمر في قوله: «فَانْكِحُوا» للتخيير، وليس للإيجاب والإلزام.

والفرق بين الإباحة والتخيير: أن الإباحة إذن في الفعل وإذن في الترك، فهي إذنان معًا، أما التخيير: فهو إذن في أحدهما من غير تعيين؛ ولذا فالتخيير لا يجوز فيه الجمع بين الشيئين، والإباحة يجوز فيها ذلك.

٦ـ الإهانة: وعلامته: أن تستعمل صيغة الأمر في مقام عدم الاعتداد بالمخاطب، وقلة الاكتراث به، كقوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، فالأمر في قوله «ذق» للإهانة والتحقير والتهكم بهؤلاء الذين انحرفوا عن المنهج القويم.

ومثله قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]، فالأمر بالتبشير في الآية يحمل معنى الإهانة والتحقير لهؤلاء المنافقين.

ومثله أيضا قول ابنِ عُيَيْنَة الـمُـهَلَّبِي:

فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي ** أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ؟

فالأمر بترك الوعيد في قول الشاعر «دعْ» يُشعر بمدى التحقير والإهانة لهذا الذي يتوعده ويهدده، وليس في إمكانه أن يحقق هذا الوعيد؛ فوعيده طنين كطنين أجنحة الذباب لا يضير.

٧ـ التعجيز: وعلامته أن تُستعمل صيغة الأمر في مقام إظهار عجز كل من يدعي المقدرة على فعل أمر معين، وليس في وسعه ولا طاقته أن يفعله، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ

عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾[البقرة:٢٣]، فليس المراد بالأمر «فَأْتُوا» هنا الإلزام والإتيان بسورة من مثله، وإنما المراد إظهار عجز كفار قريش عن الإتيان بذلك وتحديهم أن يفعلوا؛ ولأنهم إن حاولوا ذلك الإتيان بعد سماع صيغة الأمر، ولم يُمْكِنْهُمْ ذلك، بَدَا عجزهم، وظهر ضعفهم.

ومن خروج الأمر عن حقيقته إلى التعجيز أيضا ما ورد في قول المهلهل بن ربيعة الشاعر الجاهلي في رثاء أخيه كليب، وكانت قبيلة بكر قد قتلته في الجاهلية:

يَـا لَبَكْـرٍ أَنْشِـرُوا لِي كُلَيْبًـا *** يَـا لَبَكْـرٍ أَيْـنَ أَيْـنَ الْفِـرَارُ؟

فالأمر في قوله: «انشروا» مراد به التعجيز؛ لأن المقصود به: إعادة الحياة لكليب، وذلك مستحيل وفوق مقدورهم، وخارج عن طاقتهم وطوقهم.

٨ ـ **النصح والإرشاد**: وعلامته: أن لا يترتب على عدم فعل المأمور به عقوبة دنيوية ولا أخروية، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة:٢٨٢]، فالفعل «اكتبوه» خرج عن حقيقته من الوجوب والإلزام إلى الندب والنصح والإرشاد، والقرينة أن من لا يكتب الدين لا يأثم ولا يترتب عليه عقوبة دنيوية أو أخروية، ولو كان الأمر للوجوب لكانت فيه عقوبة كعقوبة من يترك الصلاة والزكاة.

٩ـ **الدوامُ**، وعلامته: أن يكون المأمور به متحققا وحاصلا قبل الأمر به، مثل قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، فالأمر «اهدنا» المراد منه الدوام والاستمرار؛ لأن الداعي يدعو وهو مهتد بالفعل، فهو يطلب الدوام والاستمرار.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء:١٣٦] فليس المراد: الأمر بالهداية والإيمان؛ لأنهما حاصلان إنما الغرض الدوام والاستمرار عليهما.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الأحزاب:١]، فالأمر في قوله: «اتق» المراد منه الدوام والاستمرار على التقوى؛ لأن التقوى كانت حاصلة ومتحققة لدى النبي عليه السلام قبل الأمر بها، وقد كثرت الأوامر الموجهة للنبي عليه السلام على هذا المعنى.

١٠ـ**التسويةُ**: وعلامتها: أن تستعمل صيغة الأمر في مقام يتوهم فيه المخاطب رجحان أحد الأمرين على الآخر. فيؤتى بالأمر ليبعد هذا التوهم وليفيد التسوية بينهما كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ﴾ [التوبة: ٥٣]، فالأمر في قوله: «أنفقوا» للتسوية بين النفقة الصادرة من

المنافقين عن طواعيةٍ، أو النفقة الصادرة منهم عن كراهيةٍ، فحتى لا يقع في وهم المخاطب أن الإنفاق طوعًا يكون مقبولا من المنافقين، دفع ذلك بالتسوية بين عدم قبول الإنفاق من المنافقين طوعا وكرها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ اَصْلَوْهَا فَاَصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٦]، فالأمر في قوله: «فَاصْبِرُوا» للتسوية أي: يستوي صبركم وعدمُه في عدم الانتفاع به، والوقاية من عذاب جهنم؛ فالأمر هنا أتى دفعًا لما قد يتوهمه المخاطب من أن الصبر نافع للكفار من عذاب النار.

١١ـ التمنِّي، وعلامته: أن تستعمل صيغة الأمر في مقام طلب الشيء المحبوب الذي لا يمكن أن يتحقق للطالب، ولا طمع له في الحصول عليه.

مثل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٧].

ففعل الأمر «أخرجنا» ليس على حقيقته بل مستعمل على سبيل التمني؛ لأن طلب الخروج من النار للكفار يوم القيامة شيء محبوب لهم فهم يتمنونه، ولات حين مناص؛ لأنه محال ولا يمكن أن يتحقق لهم، فالأمر إذن للتمني.

ومن ذلك قول امرئ القيس:

أَلا أَيُّهَا اللَيْلُ الطَّوِيلُ أَلا انْجَلِ ** بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فالأمر في قوله: «انجلِ» للتمني؛ لأن الشاعر يخاطب الليل وهو زمان غير عاقل لا يتأتى منه الاستجابة، ولكنه يتمنى أن ينجلي ظلام الليل حتى يستقبل الصباح، وينعم بضيائه؛ لأن الهموم تتكاثر عليه أكثر ما تتكاثر ليلا حتى ابتعد النوم عن جفنيه.

***

ملخص الدرس

الإنشاء: لغة: الإيجاد، واصطلاحا: هو قول لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، أو هو: ما لا يحصل مضمونه، ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به.

أقسام الإنشاء:

ينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي .

الإنشاء الطلبي: ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب.

الإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب

أساليب الإنشاء الطلبي: (الأمر ـ النهي ـ الاستفهام ـ النداء ـ التمني)

أساليب الإنشاء غير الطلبي: صيغ: المدح والذم (نعم وبئس وما يقوم مقامهما) القسم ـ التعجب ـ الرجاء ـ رُبّ ـ ألفاظ العقود مثل: (بعت، واشتريت، وغير ذلك).

المعنى الحقيقي للأمر: طلب الفعل على وجه الاستعلاء.

صيغ الأمر: في اللغة العربية عدة صيغ للأمر هي:

١ـ فعل الأمر ٢ـ المضارع المقترن باللام الساكنة

٣ـ اسم فعل الأمر. ٤ـ المصدر النائب عن الفعل.

ـ من المعاني المجازية للأمر:

١ـ الدعاء ٢ـ الالتماس ٣ـ التهديد ٤ـ الإباحة

٥ـ التخيير ٦ـ الإهانة ٧ـ التعجيز ٨ـ النصح والإرشاد

٩ـ الدوام ١٠ـ التسوية ١١ـ التمني.

إثراءات

لاحظ أن: الإنشاء الطلبي نال عناية البلاغيين واهتمامهم أكثر من الإنشاء غير الطلبي.

لاحظ أن: صيغ الأمر تدل على الوجوب والإلزام ما لم تصرفها عن هذا المعنى قرينة لفظية أو عقلية.

لاحظ أن: المعاني المجازية التي يخرج إليها الأمر كثيرة، وما ذكرناه هو على سبيل المثال لا الحصر.

انتبه إلى أن: الأمر إذا كان من الأدنى وهو الإنسان إلى الأعلى وهو الرحمن سبحانه وتعالى كان على سبيل التضرع والدعاء.

انتبه إلى أن: الأمر إذا وُجِّهَ من الند للند كان على سبيل الالتماس.

مفاهيم: الأمر الحقيقي هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام.

مفاهيم: إذا كان الأمر حاصلا عند طلبه خرج عن حقيقته إلى الدوام.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول:

بين ما يراد من صيغ الأمر في التراكيب الآتية:

١. قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].

٢. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾. [البقرة: ٢٨٢]

٣. قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

٤. قال تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. [يونس: ٣٨]

٥. يَالَيْلَ طَلْ، يَا نَوْمُ زُلْ *** يَا صُبْحُ قِفْ لاتَطْلُعِ.

٦. عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالماً *** فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُور.

٧. تَرَفَّقْ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ *** فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ.

إجابة التدريب الأول

المراد من صيغ الأمر في التراكيب السابقة :

١ـ التسوية. ٢ـ النصح والإرشاد. ٣ـ التهديد والوعيد.

٤ـ التحدي والتعجيز. ٥ـ التمني. ٦ـ الدعاء.

٧ـ الاستعطاف.

التدريب الثاني

مثل لما يأتي من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أو الشعر العربى.

أمر خرج عن حقيقته إلى الدوام ـ التعجيز ـ الإهانة ـ الدعاء ـ التمني ـ التهكم ـ التخيير.

التدريب الثالث: عرِّف المصطلحات الآتية مع التمثيل.

الإنشاء ـ الإنشاء الطلبي ـ الإنشاء غير الطلبي ـ الأمر ـ الإباحة ـ التهديد.

إجابة التدريب الثالث

الإنشاء: لغة: الإيجاد.

واصطلاحا: هو قول لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي لا ينسب لقائله صدق أو كذب. فحينما أقول: اخرج فإن الخروج ليس متحققا ساعة طلبه حتى نحكم بصدقه أو كذبه.

الإنشاء الطلبي: هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، فحينما أقول: هل جاء الطالب؟ فأنا أطلب جوابًا.

الإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، فحينما أقول: «نعم الرجل محمد»، فأنا لا أطلب بهذا الأسلوب، ولكني أمدح.

الأمر : هو طلبُ حصولِ الفعل من المخاطَبِ على سبيلِ الاستعلاءِ.

فحينما يقول الأستاذ لتلميذه «قم»، يكون هذا أمرا حقيقيا؛ لأنه صادر من الأعلى ، وهو الأستاذ للأدنى، وهو التلميذ.

الإباحة: أن تستعمل صيغة الأمر، حيث يَتَوَهَّمُ المخاطب عدم جواز الإتيان بالشيء، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[البقرة: ١٨٧] فليس معنى الأمر في قوله: «كُلُوا وَاشْرَبُوا» لوجوب الأكل والشرب بل هما للإباحة، أي : إباحة الأكل والشرب في ليالي الصيام حتى الفجر.

التهديد: هو أن تأتي صيغة الأمر في مقام عدم الرضا بالمأمور به، كما تسمع من مدير مصلحة يقول لأحد مرؤوسيه: افعل ما بَدَا لك، أو من الأب لابنه: «دم على عصيانك فالعصا أمامك» ، فليس المراد من الأمر في الموضعين الامتثال أي: فعل المأمور به، ولكن المراد هو التهديد والوعيد.

* * *

الدرس الثاني
النهي وأغراضه البلاغية

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يُعَرِّف النهي مع التمثيل.

٢. يذكر صيغ النهي مع التمثيل .

٣. يستخرج صيغ النهي من أمثلة ونصوص مقدمة له.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس تعريف النهي، وبيان صيغه، ومعانيه المجازية.

شرح الدرس

معنى النهي عند البلاغيين: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء.

وهو في أصل معناه يفيد التحريم ما لم تصرفه قرينة لفظية، أو سياقية عن هذا المعنى.

صيغ النهي

للنهي الحقيقي صيغة واحدة، هي الفعل المضارع المقترن بلا الناهية: كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢].

وعلى منوال ما درسناه في الأمر قد تخرج هذه الصيغة عن معناها الأصلي من التحريم إلى معانٍ أخر تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، وهذه المعاني المجازية ـ كما أوضحنا لأبنائنا الطلاب في درس الأمر ـ كثيرة جدا، وما نذكره هنا إنما هو نماذج من هذه المعاني البلاغية، ولا يمكن حصر هذه المعاني، لأن السياقات لا تتناهى، فكذلك المعاني المستنبطة منها لاتتناهى.

المعاني المجازية للنهى

١- الدعاء، وعلامته: أن تكون صيغة النهي صادرة من الأدنى إلى الأعلى على سبيل التضرع، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فالنواهي في هذه الآية خرجت عن معناها الحقيقي ؛ لأنها صدرت من الأدنى وهو الإنسان إلى الأعلى وهو الرحمن عز وجل، واستعملت في مقام الضراعة والخضوع والتذلل، فالمقصود منها: الدعاء والابتهال.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾[آل عمران:١٩٤] فالنهي في الآيتين مراد به الدعاء ؛ لأنه صدر من المؤمن لربه على سبيل التضرع الذي يُصور رغبته الصادقة، وحرصه الشديد على أن يحقق الله عز وجل دعاءه، ويستجيب نداءه.

٢- الالتماس، وعلامته: أن تكون صيغة النهي صادرة من المساوي لمساويه ومن الند لنده بدون استعلاء ولا خضوع، كقولك لنظيرك: لا تفعل هذا، وقولك لأخيك ومساويك: «لا تتوانَ عن تحصيل العلوم»، «ولا تتكاسلْ عن المذاكرة» .

ومنه: قوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى عليهما السلام: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:٩٤]، فالنهي في قوله: «لَا تَأْخُذْ» المراد به: الالتماس؛ لأنه ليس فيه استعلاء وإلزام، ولا تذلل وخضوع، حيث وُجِّهَ من هارون إلى موسى عليهما السلام وهما متساويان في الرتبةِ والمنزلةِ، فهو يلتمس منه بهذا النهي عدم إنزال العقوبة به.

٣- النصح والإرشاد: وعلامته: أنه لا يترتب على عدم الانتهاء عن المنهي عنه عقوبة دنيوية ولا أخروية، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة:١٠١]. فالنهي عن السؤال في قوله: «لَا تَسْأَلُوا» ليس المراد به طلب الكف على وجه التحريم والإلزام، وإنما أريد به النصح والإرشاد.

ومنه قول أبي العلاء المعري:

وَلا تَجْلِـسْ إِلَى أَهْـلِ الدَّنَايَـا ⁂ فَـإِنَّ خَلائِـقَ السُّـفَهَاءِ تُعْـدِي

فالنهي في قوله: «ولا تجلس» خرج عن حقيقته من طلب الكف على وجه الإلزام إلى النصح والتوجيه والإرشاد، فهو ينصح مخاطبه بالابتعاد عن السفهاء، ويرشده إلى الاجتناب عن أهل الدنايا والخطايا.

٤ـ الدوامُ، وعلامته: أن يكون المنهي عنه متحققا وحاصلا قبل النهي، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:٤٢]، فالنهي في قوله: «وَلا تَحْسَبَنَّ» الغرض منه: الدوام والاستمرار؛ لأن المنهي عنه كان حاصلا ومتحققا قبل النهي فالنبي عليه السلام لم يخطر له هذا الأمر على بال أصلا، ولم يظن ذلك مطلقا فالمنهي عنه غير متلبس به قبل توجيه النهي إليه.

٥ـ التيئيسُ، وعلامته: أن يكون المنهي عنه لا يغير من الواقع شيئا حدث أم لم يحدث، مثل قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٦] أي: لا فائدة في الاعتذار، فأنتم في يأس مما تأملونه وترجونه.

٦ـ التهديدُ، وعلامته: أن تأتي صيغة النهي في مقام عدم الرضا بالمنهي عنه كقولك لابنك مهددا له: «لا تجالسِ الفاسدين»، «ولا تخالط الفاسقين»، «ولا تماشِ المهملين»، وكقولك للخادم الذي خرج عن طاعتك: «لا تمتثل أمري» وانما كان هذا تهديدًا ووعيدا له؛ لأنه لا يعقل أن ينهي السيد خادمه عن امتثال أمره بل الأمر على العكس، فكأنه يقول له: سترى ما يسوءك مني، ويضرك لعدم طاعتك وامتثالك.

٧ـ التحقيرُ، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فكل من الأمر والنهي في الآية الكريمة يحملان معنى الازدراء والإهانة والتحقير لهؤلاء الذين غَلبت عليهم شقوتهم في الدنيا، وكانوا قومًا ضالين، ثم جاءوا يوم القيامة يتمنون الخروج من جهنم كما حكته الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٧]، فجاء الازدراء والإهانة والتحقير موجها لهم صراحة في تلك الآية في قوله: «اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ» .

ومن ذلك قول الشاعر:

لا تَطْلُبِ المَجْدَ إِنَّ الـمَجْدَ سُلَّمُهُ ❊❊ صَعْبٌ، وَعِشْ مُسْتَرِيحًا نَاعِمَ الْبَالِ

فالنهي في هذا البيت الغرض منه التحقير والازدراء كما هو واضح لك من سياق الكلام.

٨ـ **التوبيخ**، كقول أبي الأسود الدؤلي:

لا تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وَتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ ** عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِيـمُ

فالنهي في قوله: «لا تَنْهَ» للتوبيخ، وليس على سبيل الحقيقة .

٩ـ **التمنِّي**: وعلامته: أن تستعمل صيغة النهي في مقام طلب الشيء المحبوب الذي لا يمكن أن يتحقق للمتكلم، ولا مطمع له في الحصول عليه.

كقول الشاعر:

يَالَيْـلُ طُـلْ، يَـا نَـوْمُ زُل ** يَاصُبْـحُ قِـفْ لاتَطْلُـعِ

فالشاعر يتمنى أن يطول الليل ويمتد، وألا يطلع النهار؛ حتى يستمر اجتماعه بحبيبته، والتحدث إليها في هدأة الليل البهيم بعيدا عن أعين الرقباء، ولا يعقل أن يكون النهي على حقيقته؛ لأن النهي موجه لليل وهو زمان لا يتأتى منه الاستجابة للأمر المحبوب الذي طلبه منه الشاعر، من هنا خرج النهي عن حقيقته، وجاء على سبيل التمني.

١٠ـ **الإيناسُ**، كقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

فمخاطبة النبي ﷺ لأبي بكر بهذا الخطاب وهما في غار حراء الغرض منه بث الإيناس في قلبه، وزرع الاطمئنان في نفسه.

* * *

ملخص الدرس

النهي: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء.

وله صيغة واحدة، وهي المضارع مع لا الناهية.

من صيغ النهي المجازية:

١ ـ الدعاء، ٢ ـ الالتماس، ٣ ـ الإرشاد، ٤ـ الدوام، ٥ـ التيئيس، ٦ـ التهديد، ٧ـ التحقير، ٨ـ التوبيخ، ٩ـ التمني، ١٠ـ الإيناس .

يوضع الخبر موضع الإنشاء لأغراض كثيرة منها:

١ـ التفاؤل ٢ـ الاحتراز عن صورة الأمر؛ تأدبا واحتراما .

٣ـ التنبيه على تيسُّر المطلوب لقوة الأسباب ٤ـ المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال ٥ـ إظهار الرغبة.

يوضع الإنشاء موضع الخبر لأغراض منها:

١ـ إظهار العناية بالشيء، والاهتمام بشأنه ٢ـ التحاشي عن مساواة اللاحق بالسابق.

إثراءات

لاحظ أن: النهي يدل في أصل وضعه على التحريم ما لم تصرفه قرينة على ذلك.

لاحظ أن: المعاني المجازية للنهي مثل المعاني المجازية للأمر كثيرة لا تنحصر.

انتبه إلى أن: الدعاء من صيغ الأمر والنهي المجازية ويستعملان من الأدنى وهو الإنسان إلى الأعلى وهو رب الإنسان على سبيل التضرع والتذلل.

انتبه إلى أن: الالتماس والتمني والإرشاد من معاني الأمر والنهي المجازية.

مفاهيم: النهي هو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء .

مفاهيم: الأمر هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء .

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول:

بين ما يراد من صيغ النهي في التراكيب الآتية:

١ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

٢ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

٣ـ وقال تعالى عن المنافقين: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

٤ـ قال الشاعر:

يَالَيْلُ طُلْ، يَا نَوْمُ زُلْ ** يَاصُبْحُ قِفْ لاتَطْلُعِ

٥ـ وقال أبو العلاء المعري:

لا تَحْلِفَنَّ على صِدْقٍ ولا كَذِبٍ ** فما يُفيدُكَ، إلاّ المأثمَ، الحَلِفُ

٦ـ وقال البحتري يخاطب المعتمد على الله:

لاَ تَخلُ من عَيشٍ يكُرُّ سرُورُهُ، ** أبَدًا، ونَيْرُوزٍ عَلَيْكَ مُعَادِ

٧ـ وقال الشاعر:

ولا تُثْقِلاَ جِيدِي بِمِنَّةِ جَاهِلٍ ** أرُوحُ بِهَا مِثْلَ الْحَمَامِ مُطَوَّقَا

٨ـ وقال آخر:

لا تطلُبِ المجدَ إنَّ المجدَ سُلَّمُهُ ** صَعْبٌ وَعِشْ مُسْتريحا نَاعِمَ الْبَالِ

٩ـ وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا:

أعيْنَيَّ جُودا ولاَ تَجْمُدَا ** ألا تبكِيانِ لِصخْرِ النَّدى

١٠ـ وقال خالدُ بنُ صفْوان:

لا تَطْلُبُوا الْحَاجَاتِ فِي غَيْرِ ** حِينِهَا، ولا تطلبوا مِنْ غير أَهْلِها

التدريب الثاني: بين نوع الإنشاء، وصيغته في الأمثلة الآتية:

قال المتنبي:

لا يَخْدَعَنَّـك مِـنْ عَـدُوٍّ دَمْعُـهُ ** وارْحَمْ شَبابَكَ من عَدُوٍّ تَرْحَمُ

لا تُمْطِري أَيَّتُها السماءُ.

لا تُقْلِعْ عن عِنادكَ (تقوله لمنْ هو دونك).

لا تُجْهدْ نفسَك فيما تعِبَ فيه الكرامُ.

قال أبو الطيب في مدح سيف الدولة:

لا تَطْلُبَـنّ كَريـمًا بَعْـدَ رُؤيَتِـهِ ** إنّ الكِرامَ بأسخاهُمْ يَدًا خُتِمُوا

وقال الشاعر:

لا تَحْسَـبِ المْجْـد تَمْـرًا أنْـتَ آكِله ** لَنْ تبلُغَ المَجْد حتى تَلْعقَ الصبرا

وقال الطغْرائي:

لا تطْمحـنَّ إلى المراتـبِ قَبْـل أن ** تتكَامَـلَ الأدواتُ والأسـبابُ

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

التدريب الثالث:

مثل لما يأتي من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أو الشعر العربى.

نهي خرج عن حقيقته إلى: الدعاء ـ التمني ـ التيئيس ـ الالتماس ـ التهديد ـ التحقير.

إجابة السؤال الثالث

١ـ الدعاء، مثل قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

٢ـ التمني ، مثل قوله الخنساء في رثاء أخيها صخر :

أعيْنَـيَّ جُـودَا ولاَ تَجْمُـدَا ** ألا تبكِيـانِ لِصخْـرِ النَّـدى

٣ـ التيئيس، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التحريم:٧].

٤ـ الالتماس، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأعراف: ١٥٠].

٥ـ التهديد، مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة :٢٢].

٦ـ التحقير، مثل قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر:

دَعِ المَكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها *** واقْعُدْ فإنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

التدريب الرابع:

ـ اذكر ثلاثة أمثلة تفيدُ صيغةُ النهي في كل منها المعنى الأصلي للنهي.

ـ هات ثلاثة أمثلة تكون صيغة النهي فيها للإرشاد، الإيناس، التهديد.

***

الدرس الثالث

الاستفهام، وأغراضه البلاغية

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يعرف الاستفهام مع التمثيل.

٢. يذكر أدوات الاستفهام مع التمثيل .

٣. يستخرج أدوات الاستفهام من أمثلة ونصوص مقدمة له.

٤. يحدد الأغراض البلاغية للاستفهام مع التمثيل.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس مفهوم الاستفهام، وأدواته، وأغراضه البلاغية.

شرح الدرس

معنى الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدوات الاستفهام .

فالشرط في الاستفهام الحقيقي أن يكون سؤالا من جاهل بالجواب يريد أن يعلم، أو سؤالا من عالم بالجواب يريد أن يَعْرِفَ أن المسئول يعلم الجواب، فإذا فقد الاستفهام هذين الركنين خرج من الحقيقة إلى المجاز.

أدوات الاستفهام:

أدوات الاستفهام عددها في كلام العرب إحدى عشرة أداة، وهذه الأدوات نوعان:

النوع الأول: أدوات حرفية وهما: «الهمزة»، و«هل» .

النوع الثاني: أدوات اسمية وعددها تسعة، وهي: «مَنْ، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي».

وتنقسم هذه الأدوات بحسب الاستفهام بها ثلاثة أقسام:

١ـ ما يطلب بها التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهي الهمزة.

٢ـ ما يطلب بها التصديق ـ وهو إدراك النسبة ـ فقط، وهو هل.

٣ـ ما يطلب بها التصور ـ وهو إدراك المفرد ـ فقط، وهو بقية ألفاظ الاستفهام.

معاني أدوات الاستفهام:

لكلِّ أداة من أدوات الاستفهام معنى مستقل بها يميزها عن غيرها.

١ـ الهمزة للتصور والتصديق.

س ـ ما معنى التصور؟

ج ـ التصور هو السؤال عن إدراك المفرد؛ لتعيينه، والمراد بالمفرد: المسند إليه، أو المسند، أو أحد المتعلقات، ويكونُ الجوابُ بتحديد المسؤول عنه، فمثلا في قولنا: «أراكبا جاء محمد أم ماشيا»، مجيء محمد أمر مفروغ منه، ويعلمه المستفهِم، ولكنه لا يعلم الكيفية التي قدم عليها فهو لا يتصورها، فمن هنا يسأل عنها، وفي هذه الحالة يجب على المسئول أن يجيبه بواحد منهما، فيقول: «جاء راكبا، أو جاء ماشيا»، وهذا هو معنى كلام البلاغيين أن التصور هو إدراك المفرد أي: إدراك واحد منهما بعد علمه بأصل الحكم، أو مضمون النسبة الكلامية.

س ـ ما معنى التصديق ؟

ج ـ التصديق هو إدراك النسبة، بمعنى أن السائل ليس له دراية أصلا بمضمون الكلام قبل أن يسأله، والإجابة عنه تكون في الإثبات بـ «نعم»، وفي النفي بـــ «لا» .

فمثلا إذا لم تكن على علم مسبق بأن شيخ المعهد في مكتبه، وتريد السؤال عن ذلك، فتقول: «أحضر شيخ المعهد»، وعندئذ يجيب المسئول «نعم» إن كان حاضرا، أو «لا» إن كان غائبا، وهذا هو معنى التصديق .

والمراد بإدراك النسبة: إدراك المعنى الذي ينشأ من جراء ضم الفعل للفاعل في الجملة الفعلية، والمبتدأ للخبر في الجملة الاسمية موجبةً كانت أو سالبة.

وبناء على ذلك فالهمزة إذا كانت للتصور فهو يسأل بها عن المفرد سواء كان مسندًا إليه مثل: أمحمد حضر أم أحمد.

أو مسندًا، مثل: أفهمت الدرس أم لم تفهمه .

أو مفعولًا به، مثل: أمحمدًا قابلتَ في الطريق أم سعيدًا .

أو حالًا، مثل: أراكبا قدمت للمعهد أم ماشيًا .

أو جارًّا ومجرورًا، مثل: أفي المنزل أبوك أم في المسجد؟

ويلاحظ أن المخاطب بأسلوب الاستفهام مع الهمزة التي للتصور في الأمثلة السابقة يدرك مضمون الكلام، ولكنه لا يعلم ممن حدث منه الفعل على وجه الدقة فهو يطلب أن يُحَدَّد له الذي قام بهذا العمل ويُعَيَّنَ.

كما يلاحظ أن المسئول عنه هو الذي يأتي بعدها مباشرة، وأن الذي يقابله يأتي بعد «أم» المتصلة.

أما إذا كانت الهمزة للتصديق، فهو يسأل بها عن مضمون الكلام، والإجابة تكون بنعم أو لا مثل: «أذاكرت دروسك» فتقول نعم أو لا، وهي في هذه الحالة يُمْتَنَع ذِكْرُ معادلٍ للمستفهم عنه بعد أم.

ولما كانت الهمزة تصلح للتصور والتصديق على نحو ما أوضحنا، ومثلنا لك جعلها العلماء أصل أدواتِ الاستفهام كلّها.

٢ـ هل للتصديق فحسب.

أي: يسأل بها عن مضمون الجملة، مثل: «هل تحب الأزهر» ؟، «هل تطيع أباك» ؟، هل صليت الظهر؟، والإجابة هنا تكون بنعم أو لا.

٣ـ بقية الأدوات تفيد التصور فحسب، ويكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه، ولها ـ أيضا ـ معان أخرى تتمثل في الآتي:

ـ أداة الاستفهام «مَنْ» للسؤال عن العاقل، أي: يُطْلَبُ بِهَا تَعْيين الْعُقَلاء، مثل: «من أنت» ؟، «من هذا»؟ فتجيب: «هذا محمد» بتعيين المفرد.

ـ أداة الاستفهام «ما» للسؤال عن غير العاقل، مثل: «ما هذا»، ومعناها: أي شيء هذا؟ فتجيب محددا ومعينا: «هذا قلم»، أو كتاب الخ، فهو يسأل بها عن أي شيء غير عاقل.

- **أداة الاستفهام «متى»** للسؤال عن الزمان الماضي أو المستقبل، مثال الماضي: «متى قدمت من السفر»؟. ومثال المستقبل: «متى ستسافر»؟ .

- **أداة الاستفهام «أيان»** للسؤال عن الزمان المستقبل فقط، وغالبا ما تستخدم في السؤال عن الأمور العظيمة المهولة ذات الشأن الجليل، وهكذا استخدمها القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:٦]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٢].

- **أداة الاستفهام «كيف»** للسؤال عن الحال، مثل: «كيف حالك» ؟، ومثل: «كيف جئتم» ؟ ومثل قول الشاعر:

إِلَى اللهِ أَشْكُو بِالْمَدِينَةِ حَاجَة ** وَبِالشَّامِ أُخْرَى كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟

- **أداة الاستفهام «كم»** للسؤال عن العدد مثل: «كم الساعة»؟، كم عدد الطلاب في هذا الفصل» ؟، «كم عدد المتفوقين في الصف الأول الثانوي»؟، ومثله: «كم عدد الكتب التي معك» فتجيب خمسة بتعيين المفرد، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف:١٩].

- **أداة الاستفهام «أين»** للسؤال عن المكان، أي: يطلب بها تعيين المكان وتحديده، مثل: «أين تسكن»، «أين يقع معهدك»؟

- **أداة الاستفهام «أنى»** وتأتي على ثلاثة معان:

أ ـ بمعنى متى، مثل: أَنَّى يحضرُ الغائبون؟ أي: متى يحضرون.

ب ـ بمعنى كيف، مثل: أَنَّى تسودُ العشيرةُ وأبناؤها متخاذلون؟ ومثله قوله تعالى في دعاء زكريا عليه السلام ربَّه: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]. بمعنى كيف يكون لي غلام، ومثله قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، والمعنى: فأْتُوا حَرْثَكُم كيف شِئْتم؟

ج ـ بمعنى من أين، مثل: «أَنَّى لهم هذا المال وقد كانوا فقراءَ»؟، ومثله قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧] . أي: من أين لك هذا.

- **أداة الاستفهام «أي»** للسؤال عن تعيين أحد المتشاركَيْن في أَمر يعمهما؟ وتقع على العاقل، وغير العاقل، وعلى الزمان، والمكان، والحال، وعلى حسب ما تضاف إليه.

مثل: أي الأخوين أكبر سنا؟، ومثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

الأغراض البلاغية للاستفهام

معلومٌ ـ مما سبق ـ أن أدوات الاستفهام لها دلالات حقيقية تدل عليها، وقد تخرج هذه الأدوات عن معانيها الحقيقية من إرادة طلب الإِفْهامِ والإِعلام إلى معانٍ أخرى تُفهم مِنْ سياق الكلام، ومقتضيات المقام، من هذه المعاني:

١ـ الأمر: مثل: قولك لضيفك وهو في بيتك تريد أن تأمُرَه بالصَّلاةِ وقد حانَ وقْتُها: «أَتُصَلِّي»؟ «ألاَ تُصَلِّي»، فالاستفهام في المثالين خرج عن حقيقته إلى الأمر بمعنى: صل، ولكن المتكلم أورد الأمر على صيغة الاستفهام تلطفا مع ضيفه، واستجلابا لمودته، واستيحاشا من أمره له أمرا صريحا، وهو في بيته.

ومنه قوله تعالى: خطابا لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]. فقوله: «أَأَسْلَمْتُمْ؟» : استفهام يراد منه الأمر أي: أَسْلِموا.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾؟ [المائدة: ٩١]، فقوله: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون»؟ استفهام المراد به الأمر أي: انْتَهُوا عن ذلك.

٢ـ النَّهْيُ: مثل قوله تعالى: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]، فالاستفهام في قوله: «أَتَخْشَوْنَهُمْ» بمعنى النهي، أي: لا تخشوهم؛ لأنَّ الله ناصركم عليهم.

٣ـ النفي: مثل قوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فالاستفهام في قوله: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ» بمعنى النفي، أي: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وفرق واضح بين الدلالة على النفي بصيغة الاستفهام والدلالة عليه بطريق النفي؛ لأن النفي عن طريق الاستفهام فيه تحريكٌ للفكر، وتنبيهٌ للعقل، وحثٌّ على النظر والتأمل، وتلك حقيقة عقلية، لا يُعارِضُ فيها أحدٌ.

٤ـ الإنكارُ: وهو على نوعين: الأول: **إنكار توبيخيٌّ**، والثاني: **إنكار تكذيبيٌّ**.

الأول الإنكار التوبيخي مثل قوله تعالى: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف:٣٧] المعنى: ما كان ينبغي أن يقع هذا الكفر وقد خلقك الله وسوّاك وأنعم عليك من نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تحصى ولا تعد، فهو ينكر عليه هذا الكفر، ويوبخه عليه.

ومثله - أيضًا - قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ [يوسف:٨٩]، فهو ينكر عليهم، ويوبخهم على فعلتهم مع أخيهم حين ألقوه في البئر.

الثاني الإنكار التكذيبي: مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء:٤٠].

فلا شك أن الاستفهام هنا خرج عن حقيقته إلى الإنكار والتكذيب؛ لاستحالة أن يكون الاستفهام هنا من الله ﷻ على وجه الحقيقة، فالاستفهام في الآية يفيد تكذيبهم، وإبطال ما قالوه، والمعنى: لم يكن من الله تعالى اصطفاء ولا اتخاذ.

٥ـ التشويقُ: مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف:١٠].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [النازعات:١٥، ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات:١٨،١٩]، فواضح من سياق هذه الآيات الكريمة أن الاستفهام فيها خرج عن معناه الحقيقي وهو طلب الفهم والإعلام إلى تشويق المخاطب وترغيبه في معرفة جواب هذ السؤال، وعندئذ يأتي الجواب فيقع في نفس المخاطب موقعًا حسنًا؛ لأنه جاء والنفس مهيَّئة له، متلهفة إلى معرفته، مترقبة لسماعه فيزداد المعنى رسوخا في نفسه، وتمكنا في قلبه.

٦ـ التقرير: مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء:٦٢]. فالاستفهام في قوله: «أَأَنْتَ فَعَلْتَ» للتقرير يدل على ذلك قول إبراهيم عليه السلام قبل كسرها: ﴿ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ وقولهم: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء:٦٠] ففي هاتين الآيتين دلالة على علمهم بأنه هو الذي كسر الأصنام؛ فلا يصح حمل استفهامهم على حقيقته، والسياق الخارجي يؤكد ذلك أيضا، فقوم إبراهيم كانوا كفارا يعبدون الأصنام، ولا يعقل أن يكسروا آلهتهم التي يعبدونها بأنفسهم، ولا

يعقل كذلك أن تكون الأصنام فعلت ذلك بنفسها كما أحالهم إبراهيم عليه السلام عليها تهكما واستهزاء بعقولهم، وتحديا لهم أن يقولوا: نعم هُنَّ من فعل هذا.

كما أن إبراهيم عليه السلام وحده هو الذي كان يتعرض لها بالقول، فهذه القرائن كلها حتما تشير إليه، ومن ثم فهم لا يستفهمون منه على سبيل الحقيقة بل هم يريدون أن يقر بذنبه، ويعترف به اعترافا واضحا كي ينفذوا فيه ما سولته لهم نفوسهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، حيث خرج الاستفهام عن حقيقته إلى تقرير عيسى عليه السلام بما يعرفه من هذا الحكم، وهو أنه لم يصدر منه هذا القول مطلقا.

٧ـ التهويلُ: كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ـ٣]. وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ـ٣]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: ٤ ، ٥]، فالاستفهام في هذه الآيات الكريمة خرج حتما عن حقيقته إلى التفظيع والتهويل، فهو يكشف بوضوح تام عن أهوال يوم القيامة، ويصور فظاعة العذاب، ويبرز شدته.

٨ ـ الاستبعادُ: مثل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٢، ٣]، فالاستفهام في قوله: «أَئِذَا مِتْنَا» خرج عن حقيقته إلى الاستبعاد، فالكفار يستبعدون البعث بعد النشور، وينكرون وقوعه، وتقدير الكلام: أنُبعث إذا كنا ترابًا ذلك رجع بعيد! ولكنهم سيبعثون ويعذبون ويدخلون النار.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٣، ١٤]، فالاستفهام في هذه الآية خرج عن حقيقته وهو طلب الفهم إلى الاستبعاد.

٩ـ الاستبطاءُ: كقوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] والفرق بين الاستبطاءِ هنا والاستبعاد فيما مضى أن الاستبعاد متعلقه غير متوقع، أما الاستبطاء فمتعلقه متوقع، والمستفهِم يتطلع إلى وقوعه ومجيئه أي: أن نصر المؤمنين على أعدائهم متوقع ومترقب، ولكنه استبطأ عليهم، وهم في حالة ترقب لوقوعه.

١٠ـ التحقير: مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[الأنبياء:٣٦]، وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[الفرقان:٤١]، فالاستفهام في قوله: «أهذا الذي» للتحقير والازدراء كما يفهم من سياق الآيتين.

١١ـ التنبيه على ضلال: مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير:٢٥، ٢٦]، فليس الغرض من الاستفهام في قوله: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» عن مكان ذهابهم على وجه الحقيقة، بل المراد: تنبيههم على أنهم ضالون، وأن لا مفر لهم من عذاب الله، فهو لاحق بهم حيثما كانوا.

وغير ذلك من الأغراض التي يهدي إلى استنباطها السياق، ويعين على فهمها المقام، ولو تأملنا كل الشواهد الماضية لوجدنا أنها فقدت ركني الاستفهام الحقيقي، وخرجت إلى المعاني المجازية.

❊ ❊ ❊

ملخص الدرس

الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدوات الاستفهام.

أدوات الاستفهام:

(الهمزة ـ هل ـ ما ـ من ـ متى ـ أيان ـ أين ـ كيف ـ أنى ـ كم ـ أي).

من الأغراض البلاغية للاستفهام

١ـ الأمر ٢ـ النهي ٣ـ النفي ٤ـ الإنكار

٥ـ التشويق ٦ـ التقرير ٧ـ التهويل ٨ـ الاستبعاد

٩ـ التحقير ١٠ـ الاستبطاء ١١ـ التنبيه على ضلال.

❊ ❊ ❊

إثراءات

لاحظ أن: الهمزة هي أصل أدوات الاستفهام، وهي تفيد التصور والتصديق.

لاحظ أن: هل تفيد التصديق فحسب.

لاحظ أن: الهمزة وهل حرفان، وبقية الأدوات أسماء وكلها تفيد التصور أي يطلب بها تعيين المسئول عنه وتحديده، ولكل أداة فضلا عن ذلك معنى يميزها من غيرها.

انتبه إلى أن: الشرط في الاستفهام الحقيقي أن يكون سؤالا من جاهل بالجواب يريد أن يعلم، أو سؤالا من عالم بالجواب يريد أن يعرف أن المسئول يعلم الجواب، فإذا فقد الاستفهام هذين الركنين خرج من الحقيقة إلى المجاز.

انتبه إلى أن: الإنكار يكون على قسمين إنكار توبيخي على أمر وقع، وإنكار تكذيبي على أمر لم يحدث أصلا .

مفاهيم: الاستفهام من أنواع الإنشاء الطلبي وأدواته حرفية واسمية، وله معان مجازية كثيرة.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول:

بين المعنى المجازى للاستفهام فى التراكيب الآتية:

١ـ قال تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦]

٢ـ أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا *** وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاح

٣ـ مَتَى يَبْلُغ الْبُنْيَانُ يَوْما تَمامه *** إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ

٤ـ أَضَاعُونِي، وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا *** لِيَوْمِ كَرِيهَة وَسَدَادِ ثَغْر

٥ـ هَلْ الدَّهْرُ إِلا غَمْرَةٌ وانْجِلاؤُها *** وَشِيكًا وَإِلا ضِيقَةٌ وانْفِرَاجُهَا؟

٦ـ وقال أبو الطيب في المديح:

أَتَلْتَمِسُ الأعداءُ بَعدَ الذي *** رَأَتْ قِيَامَ دَليلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ

٧ـ وقال البحتري:

أَلَسْتَ أَعَمَّهُمْ جُودا، وأَزْكَاهُمُ *** عُودا، وأمضَاهُمْ حُسَامَا

٨ـ وقال أحمد شوقي:

إلامَ الْخُلْفُ بَيْنَكُمُ إلاما؟ *** وهَذِهِ الضَّجةُ الكُبرَى عَلامَا

٩ـ وقال أبو الطيب في الرثاء:

مَن للمَحافلِ وَالجَحافلِ وَالسُّرَى *** فَقَدَتْ بفَقْدِكَ نَيِّرًا لا يَطْلُعُ

١٠ـ وقال يهجو كافورًا:

من أَيَّةِ الطُّرُقِ يأتي مثلَكَ الكَرَمُ *** أَيْنَ المَحاجِمُ يا كافُورُ وَالجَلَمُ

التدريب الثاني: أجب عما يلي:

سلْ عما يأتي بأداة من أدوات الاستفهام المناسبة:

١ـ أول الخلفاء الراشدين. ٢ـ عدد المعاهد الأزهرية في محافظتك.

٣ـ أطول شارع في المدينة. ٤ـ موطن الفِيلة. ٥ـ حال مصر أيام المماليك.

٦ـ حقيقة الصدق. ٧ـ الزمن الذي ينضج فيه العنب. ٨ ـ معنى الضيغَم.

إجابة التدريب الثانى

١ـ من أول الخلفاء الراشدين. ٢ـ كم عدد المعاهد الأزهرية في محافظتك.

٣ـ ما أطول شارع في المدينة. ٤ـ أين موطن الفِيلة.

٥ـ كيف حال مصر أيام المماليك. ٦ـ ما حقيقة الصدق.

٧ـ متى الزمن الذي ينضج فيه العنب. ٨ ـ ما معنى الضيغَم.

التدريب الثالث

ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (x) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:

١. (   ) تفيد هل في قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر:١١] التقرير.

٢. (   ) كم حرف استفهام.

٣. (   ) من معاني الاستفهام المجازية النفي.

٤. (   ) الاستفهام للإنكار في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم﴾. [الصف:١٠]

٥. (   ) الاستفهام للتقرير في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾. [الشرح: ١]

٦. (   ) الهمزة تفيد التصديق فحسب.

٧. (   ) هلا ليست من أدوات الاستفهام.

٨. (   ) ألا: من أدوات الاستفهام.

٩. (   ) تأتي أنى في الكلام لمعنى واحد فحسب.

إجابة التدريب الثالث

١. (x).   ٢. (x).   ٣. (√).   ٤. (x).   ٥.(√).

٦. (x).   ٧. (√).   ٨. (x).   ٩.(x).

التدريب الرابع: أجب عما يأتي:

١. ما معنى الاستفهام؟ وما أدواته؟   ما معنى التقرير؟ مع التمثيل؟

٢. ما الفرق بين الإنكار التكذيبي والتوبيخي مع التمثيل؟

❊ ❊ ❊

الدرس الرابع
التمني وأغراضه البلاغية

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يعرف التمني، مع التمثيل.

٢. يذكر الأغراض البلاغية لأدوات التمنى.

٣. يفرق بين التمني والترجى.

٤. يأتى بأمثلة لأدوات التمني (لعل، ولو، هل).

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس مفهوم التمني عند البلاغيين، وأدواته الأصلية والفرعية، وأسراره البلاغية.

شرح الدرس

معنى التمنى: هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله، ولا يتوقع حدوثه، إما لكونه مستحيلا، وإمَّا لكونه ممكنا غير مطموعٍ في نيله.

مثال التمني المستحيل قول الشاعر:

أَلا لَيْـتَ الشَّـبَابَ يَعُـودُ يَوْمًـا ** فَأُخْـبِرَهُ بِمَـا فَعَـلَ الْـمَشِيبُ

ومثال التمني الممكن غير المطموعِ في نيله قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص:٧٩].

أدوات التمني:

للتمني أربع أدوات: واحدةٌ أصلية، وهي «ليتَ»، وثلاث أدوات غيرُ أصلية تنوب عنها، وهي: «هل، لو، لعل» .

وكل أداة من هذه الأدوات الثلاث يُتَمَنَّى بها لغرض بلاغي.

أولا: الغرض البلاغي من التمني بـ (هل):

هو إبراز المُتَمَنَّى في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به، والتشوق إليه.

مثل قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف:٥٣].

فالاستفهام في قوله: «فهل لنا من شفعاء» مستعمل في التمني؛ لأنّهم يعلمون علم اليقين أنّه لا يشفع لهم أحدٌ يومئذٍ إلاَّ بإذن الله، ويعلمون أنّهم لا يُردُّون إلى الحياة الدنيا، فهذه قرائن تدل على أن أداة الاستفهام هنا مراد بها التمني .

ومثله قوله تعالى: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾[الشورى:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧]، وكأنهم لفرط ما هم فيه من هول العذاب صاروا يسألون غير الممكن الذي لا محالة في تحققه.

ومنه قول أبي الشيص الخزاعي:

هَــلْ بالطُّلُــولِ لِسَــائلٍ رَدُّ؟ ** أَمْ هَــلْ لَهَــا بِتَكَلُّــمٍ عَهْــدُ؟

ثانيا: الغرض البلاغي من التمني بـ (لعل):

هو إبراز المتمنى في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به، والتشوق إليه، مثل قول العباس بن الأحنف:

بَكَيْتُ عَلَى سِرْبِ الْقَطَا إذْ مَرَرْنَ بِي ** فَقُلْـتُ، ومِثْـلِي بِالْبُـكَاءِ جَدِيـرُ

أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَناحَهُ ** لَعَـلِّي إِلَى مَـنْ قَـدْ هَوِيـتُ أَطِيـرُ[1].

فأداة الترجي «لعل» في البيت الثاني، استعملها الشاعر فيما هو متعذر، ليُظْهِرَ مطلوبه بأنه أمر ممكن مرجوٌّ حدوثه؛ لأن الترجي هو طلب حصول شيء محبوب مرجو حدوثه.

ثالثا: الغرض البلاغي في التمني بلو:

هو الإشعار بعزة المُتَمَنَّى، وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع، إذ إن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

(١) القطا: واحدته «قطاة» نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء، ويتخذ عشه في الأرض، ويطير جماعات، ويقطع مسافات شاسعات.

مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٩-١٠٢]، والأداة المستعملة في هذا التَّمنِّي هي حرف الشرط «لو» حيث تمنى الذين أضلّهم المجرمون، وهم يُعَذَّبون في الجحيم، أن يرجعوا إلى الحياة الدنيا ليُؤْمِنُوا، لكنَّهم يعلمون أنَّ هذا المطلب ميؤوسٌ من تحقيقه .

والسر في إيثارها هنا أن لدى هؤلاءِ المستضعفين بعض أمَلٍ ضعيفٍ باستجابة طلبهم، أو أنهم أرادوا إظهار مطلوبهم في صورة الممكن عزيز المنال.

❊ ❊ ❊

ملخص الدرس

التمني: هو طلب الشيء المحبوب الذي لايرجى حصوله، إما لكونه مستحيلا، وإما لكونه ممكنا غير مطموع في حصوله.

أدوات التمني أربعة: أداة أصلية هي (ليت)، وثلاث أدوات غير أصلية، هي: (هل - لعل - لو).

الغرض البلاغي في (هل، ولعل): هو إبراز المتمنى في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به، والتشوق إليه.

والغرض «في لو»: الإشعار بعزة المتمنى، وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع، إذ إن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

❊ ❊ ❊

إثراءات

لاحظ أن: التمني يكون في المحبوب الذي لا يرجى حصوله، والترجي يكون في المحبوب الذي يرجى حصوله.

لاحظ أن: أداة الترجي الحقيقية هي لعل، وقد تستعمل في التمني.

انتبه إلى أن: التمني بليت يكون على حقيقته، أما التمني بهل فهو على غير حقيقته.

انتبه إلى أن: لو تستعمل في التمني للإشعار بعزة المتمنى، وندرته.

مفاهيم: التمني يكون في الأمر المحبوب المستحيل، أو النادر الحدوث.

مفاهيم: الترجي يكون في الأمر المحبوب المرجو حدوثه.

❊ ❊ ❊

تدريبات

التدريب الأول :

١ ـ اذكر أمثلة لأدوات التمني (لعل، لو، هل).

٢ ـ اذكر الأغراض البلاغية لأدوات التمني.

٣ ـ قارن بين التمني والترجي.

إجابة التدريب الأول

١ ـ أمثلة أدوات التمني :

مثال «لعل» قول الشاعر :

أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ ** لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أَطِيرُ

ومثال لو قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٥٧، ٥٨].

ومثال هل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر:١١] .

٢ ـ الأغراض البلاغية لأدوات التمنى.

أداة التمني ليت تفيد : طلب المحبوب المستحيل أو النادر الحدوث .

أداة التمني هل تفيد: إبراز المُتَمَنَّى في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به، والتشوق إليه.

أداة التمني لعل تفيد: إبراز المتمنى المستحيل الوقوع في صورة المرجو القريب الحصول، لكمال العناية به، والتشوق إليه.

أداة التمني لو تفيد: الإشعار بعزة المُتَمَنَّى، وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع، إذ إن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

٣ ـ التمني هو : طلب الأمر المحبوب المستحيل أو النادر الوقوع.

الترجي : طلب الأمر المحبوب الذي لا يستحيل تحققه بل يرجى وقوعه.

التدريب الثاني :

ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (x) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:

١ ـ (   ) هل من أدوات التمني الأصلية.

٢ ـ (   ) لو من أدوات التمني غير الأصلية.

٣ ـ (   ) لا يوجد فرق بين الترجي والتمني.

٤ ـ (   ) يستخدم الترجي في معنى التمني مجازا والعكس.

٥ ـ (   ) ليت تفيد طلب الشيء المستحيل أو النادر.

٦ ـ (   ) لعل من أدوات الترجي الحقيقية.

٧ ـ (   ) التمني من الإنشاء غير الطلبي.

٨ ـ (   ) وردت أداة التمني ليت في القرآن كثيرا.

٩ ـ (   ) لم ترد أداة التمني لو في القرآن الكريم.

إجابة التدريب الثاني

١ ـ (x).   ٢ ـ (√).   ٣ ـ (x).   ٤ ـ (√).   ٥ ـ (√).

٦ ـ (√).   ٧ ـ (x).   ٨ ـ (√).   ٩ ـ (x).

❊ ❊ ❊

الوحدة الرابعة

(أحوال المسند إليه، وأحوال المسند)

أهداف الوحدة الرابعة

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يكتب مقالا عن أحوال المسند إليه.

٢. يعد بحثا يتناول فيه أحوال المسند.

الدرس الأول
(أحوال المسند إليه، وأغراضه البلاغية)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يعرف المسند والمسند إليه، مع التمثيل.

٢. يذكر الأغراض البلاغية لحذف المسند إليه.

٣. يذكر الأغراض البلاغية لذكر المسند إليه.

٤. يشرح الأغراض البلاغية لتعريف المسند إليه بالإضافة، وبالإشارة، والموصولية، وغيرها.

٥. يستخرج من أمثلة مقدمة له الأغراض البلاغية لتنكير المسند إليه.

٦. يأتى بأمثلة للأسرار البلاغية لتقديم المسند إليه.

وصف الدرس:

(سنتناول في هذا الدرس، ماهية المسند إليه والمسند، وأحوال ذكر المسند إليه، من حيث الذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والأغراض البلاغية لهذه الأحوال المختلفة).

شرح الدرس

س: ما المراد بأحوال المسند إليه؟

ج: أحوال المسند إليه هي: الأوضاع والكيفيات التي يتأتى عليها المسند إليه في كلام العرب من كونه مذكورا أو محذوفا، أو معرفا أو منكرا، أو مقدما أو مؤخرا وغير ذلك، وقبل أن نعرض لهذه الأحوال وأغراضها البلاغية المختلفة يجدر بنا أن نكشف لك عن ماهية كل من المسند إليه والمسند.

س ـ ما معنى المسند إليه؟ وما معنى المسند؟

ج ـ للإجابة عن هذا تفصيلا يجب أن نوضح لأبنائنا الطلاب أن الجملة في النحو العربي على نوعين:

النوع الأول: جملة اسمية، ركناها: المبتدأ والخبر، مثل: المعهدُ نظيفٌ.

النوع الثاني: جملة فعلية، ركناها الفعل والفاعل، مثل: حضر محمد، هذه المسميات النحوية يطلق عليها البلاغيون مصطلحات مختلفة، فالذي يُسَمَّى في النحو (مبتدأ وفاعلا) يسمى في البلاغة مسندا إليه، والذي يسمى في النحو (خبرا، وفعلا) يسمى في البلاغة (مسندا).

وعلى ذلك فالمسند إليه في الجملة العربية يتمثل في الآتي بيانه:

أ ـ المبتدأ الذي له خبر: نحو: «محمدٌ مجتهد»، «الحياةُ كفاح» .

ب ـ أسماء الأفعال الناقصة الناسخة، وهي كان وأخواتها، مثل: «كانَ الرجلُ منطلقا»، «ظل عليٌّ متوضئا»؛ لأن اسم كان وأخواتها أصله مبتدأ، فلو حذفتَ الناسخ لتحول الاسم إلى مبتدأ.

ج ـ أسماء الحروف الناسخة، وهي إن وأخواتها مثل: «إن الرجلَ منطلق»، «كأنَّ هندًا بدر»، وأسماء الحروف النواسخ أصلها مبتدأ، فلو حذفتَ الناسخ لتحول الاسم إلى مبتدأ.

د ـ المفعول الأول لظن وأخواتها؛ لأن أصله مبتدأ مثل: «ظننت محمدًا مسافرًا» .

هـ ـ المفعول الثاني لأعلم وأرى؛ لأن أصله مبتدأ كذلك مثل: «أعلمت محمدًا العلمَ نورًا».

و ـ فاعل الفعل التام، مثل: «طلعت الشمس»، «يأبى العربي الضيم».

ز ـ نائب الفاعل، مثل قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[النساء:٢٨]، وقولنا: (يُكْرَمُ الضَّيْفُ).

١ـ الأسرار البلاغية لذكر المسند إليه

تمهيد:

كل لفظ يدل على معنى في الكلام يجب ذكره؛ لتأدية المعنى المراد بهذا اللفظ؛ لذا يذكر المسند إليه وجوبا إذا لم توجد قرينة تدل عليه عند حذفه وإلا كان الكلام مبهما لا يستبين المراد منه، ولكنْ قد يَعْمَدُ المتكلم إلى ذكر المسند إليه، مع وجود قرينة تدل عليه لأسرار بلاغية، تستخرج بمعونة سياق الكلام من هذه الأسرار:

١ـ زيادة التقرير والإيضاح: مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:٥]، فلو تأملنا المسند إليه الذي فوق الخط سنجد أنه من الممكن أن يستغنى عنه هنا؛ لأنه سبق

ذكره في أول الآية في قوله: «أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى» لكنه ذُكر مرة ثانية؛ لزيادة التقرير والإيضاح للسامع؛ تنبيها على أن المتقين ـ المتحدث عنهم في أول سورة البقرة ـ حقيقون بالفلاح.

٢ـ التبرك: مثل قولنا: (الله ربي، الله حسبي) فقد ذُكر لفظ الجلالة المسند إليه في المرة الثانية، وكان يمكن الاكتفاء بذكره في المرة الأولى، وتذكر الجملة هكذا «الله ربي وحسبي»، لكنه ذكر في الثانية؛ تبركًا بذكر اسمه سبحانه وتعالى.

٣ـ التعظيم: مثل: «حضر العالم الجليل»، جوابا لمن قال: هل حضر العالم الجليل؟، وكان يمكن الاكتفاء في الجواب بنعم حضر، ولكن لما كان غرض المتكلم التعظيم أعاد ذكر المسند إليه مرة ثانية تعظيما له فقال: نعم حضر العالم الجليل.

٤ـ التعجب: وذلك في مقامات الغرابة؟ كقولكَ: «علي يقاوم الأسد» جوابا لمن قال: «هل علي يقاوم الأسد»؟ فقد كان يمكن الاكتفاء بذكر المسند إليه في السؤال ولا يعيده المتكلم في الجواب، ويقول: «نعم»، ويسكت، ولكن لما كان الغرض التعجب من جرأته وصولته أعاد ذكر المسند إليه مرة ثانية في جواب السائل فقال: «نعم علي يقاوم الأسد» .

٥ـ الإهانة: نحو: «السارق حضر»، في جواب من قال: هل حضر السارق؟ وكان من الممكن الاكتفاء في الجواب بقولنا: «نعم حضر»، لكن لما كان الغرض هو إهانةُ السارق وتحقيره أعيد ذكر المسند إليه فقيل: «نعم حضر السارق» .

وما ذكرناه من أغراض هي على سبيل المثال لا الحصر، وهناك أغراض أخرى لذكر المسند إليه تستنبط من السياقات المختلفة.

٢ ـ الأسرار البلاغية لحذف المسند إليه:

تمهيد:

قد يحذف المسند إليه من الكلام؛ شريطة أن توجد قرينة تدل على الحذف لأغراض بلاغية منها:

١ـ ضيق المقام عن إطالة الكلام: بسبب تضجر أو وجع كقول الكميت:

قَـالَ لِي: كَيْفَ أَنْـتَ؟ قُلْتُ عليل ** سَـهَرٌ دَائِـمٌ وَحُـزْنٌ طَويـلُ

فما تحته خط خبر، وقد حذف المبتدأ، والأصل «أنا عليل»، وإنما حذف المسند إليه تعبيرا عن ضيق المقام بسبب ما ألم بالشاعر من مرض، وهذا شائع في كلام الناس فهم يقولون: «غريق، حريق» ولا يذكرون المسند إليه ؛ لأن مرادهم سرعة الاستغاثة.

٢ـ إخفاء الأمر عن غير المخاطب: كقولك: «أقبلَ»، وأنت تريد شخصا معينا يعرفه مخاطبك، ولا تريد أن يعرفه غيرُ المخاطب لأسباب تخص المتكلم والمخاطب.

٣ـ تيسُّر الإنكار عند الحاجة: نحو قولك: «لئيم خسيس»، فحذف المسند إليه وتقديره: «فلان لئيم خسيس» حتى يتأتى للمتكلم الإنكار في وقت المؤاخذة أو العقوبة.

٤ـ تعيُّن المسند إليه: مثل قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[التغابن:١٨] فالمسند إليه محذوف، وهو لفظ الجلالة (الله) لأنه متعين عقلا وشرعا.

٥ـ الحذر من فوات فرصة: كقولك لصاحبك وأنتما في رحلة صيد: «غزال»، حيث حذف المسند إليه، وتقديره «هذا غزال» خوفا من انفلات الغزال وهروبه من أيدي الصياد بسبب سرعته .

٦ـ القطع والاستئناف: بمعنى أن يبتدأ المتكلم في الحديث عن شيء معين،بذكر بعض شؤونه، ثم يترك هذا الشأن المعين، وينتقل إلى شأن آخر مدح، أوذم متعلق به أيضا، وفي هذه الحالة غالبا ما يحذف المبتدأ في حال الاستئناف،ويذكر الخبر بدون مبتدأ، مثل قول الشاعر:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إنْ تراخَتْ مَنيَّتي ** أَيَادِيَ لم تُمْنَنْ وإنْ هِيَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِه ** ولا مُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

والتقدير: هو فتى، حيث تحدث الشاعر عن «عمرو» في البيت الأول بأمر معين، ثم قطع الحديث عن ذلك في البيت الأول، واستأنف الحديث عنه في البيت الثاني في موضوع جديد يمدحه به، فذكر الخبر «فتى»، وحذف المبتدأ كما ترى.

ومثله قولُ جميل بثينة:

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ** رَيَّا العِظَامِ بِلا عَيْبٍ يُرَى فِيهَا

والتقدير: هي هيفاء فحذف المسند إليه المبتدأ للقطع والاستئناف مدحا لها.

ومثله قول الشاعر الأقيشر الأسدي في ابن عم له موسر، سأله فمنعه.

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ** وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ
حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ ** وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ

والتقدير: هو حريص، فحذف المسند إليه المبتدأ للقطع والاستئناف ذما له.

٣ ـ الأسرار البلاغية لتعريف المسند إليه

حق المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنه المحكوم عليه؛ والمحكوم عليه ينبغي أن يكون معلوما؛ ليكون الحكم مفيدا، وألوان تعريف المسند إليه كثيرة، فقد يعرَّف بالإضمار، أو بالعلمية، أو بالإشارة، أو بالموصولية، أو بأل، أو بالإضافة، ولكل نوع من أنواع التعريف أسراره، ودقائقه، ولكننا سنكتفي هنا بنماذج كاشفة عن غيرها مما لم نذكره، ونبدأ بالأغراض البلاغية لتعريف المسند إليه بالعلمية:

أ ـ يعرف المسند إليه بالعلمية لأغراض بلاغية منها:

١ ـ المدح: وذلك يكون في الأعلام أو الألقاب التي تُشعر بالمدح، مثل: حضر صلاح الدين، فالاسم العلم «صلاح الدين» يشعر بالمدح؛ لما في العقل الجمعي للمسلمين من حب صلاح الدين الأيوبي الذي استرد القدس من أيدي الصليبين.

٢ ـ الذم والإهانة: ويتأتى ذلك في الألقاب التي تشعر بالقدح مثل: ذهب تَأَبَّط شَرًّا، وحضر اللص.

٣ ـ التفاؤل: ويتأتى ذلك في الكلمات التي تدل على ذلك مثل: جَاءَ فرحٌ، وحضر سرورٌ، فلا شك أن الفرحَ والسرورَ مما يبعثُ التفاؤلَ في النَّفْس الإنسانية.

٤ ـ التشاؤم: ويتأتى ذلك في الكلمات التي تدل على ذلك مثل: حضر حربٌ، وجاء حقدٌ. ولا شك أن الحرب والحقد مما يبعث التشاؤم في النفس الإنسانية.

٥ ـ التلذذ: كقول الشاعر، وينسب لمجنون ليلى:

بِاللهِ يَا ظَبَيَاتِ الْقَاعِ، قُلْنَ لَنَا ** لَيْلايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

حيث عرف الشاعر محبوبته باسمها العلم «ليلى» ولم يذكر صفتها ؛ تلذذا بذكر اسمها على لسانه، وتدلها في حبها.

ب ـ يعرف المسند إليه بالإشارة لأغراض بلاغية منها:

١ـ تعظيم درجة المسند إليه بالقرب: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، فذكرُ المسند إليه باسم الاشارة القريب «هذا» فيه تعظيم للمسند إليه والتأكيد على أن القرآن الكريم لدى المسلم قريب من النفس والعقل والحس والوجدان في كل زمان ومكان.

٢ـ تعظيم درجة المسند إليه بالبعد: كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢]، ومثله قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [القصص:٢] حيث أشار إلى الذكر الحكيم في الآية الأولى باسم الإشارة للبعيد «ذلك»، وذكر المسند إليه آيات الكتاب باسم الإشارة البعيد «تلك» في الآية الثانية؛ إشعارا ببعد مرتبته في الكمال، وارتفاع منزلته وقدره بين غيره من الكتب .

ومثله قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] حيث أشار للرسل باسم الإشارة للبعيد «تلك» ؛ تبيانا لبعد مرتبتهم في الكمال.

٣ـ تحقير درجة المسند إليه بالقرب: من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٦]، حيث عرف المسند إليه باسم الإشارة للقريب (هذا) تحقيرًا له وازدراء به.

٤ـ تحقير درجة المسند إليه بالبعد: كقوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الماعون:٢]، حيث عرف المسند إليه باسم الإشارة للبعيد «ذلك» تحقيرًا له وتهكماً وازدراء به.

٥ـ كمال العناية به وتمييزه أكمل تمييز: كقول الفرزدق لهشام بن عبد الملك لما تجاهل معرفة علي بن الحسين رضي الله عنهما حين رأى الناس قد التفوا حوله في الكعبة فسأل من هذا ؟ وهو يعرفه فقال الفرزدق مادحا له:

هَذَا الَّذِي تَعرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ** وَالْبَيْـتُ يَعْرِفُهُ، وَالْحِلُّ وَالْـحَرَمُ

هَـذَا ابْـنُ خَـيْرِ عِبَـادِ اللهِ كُلِّهِـمُ ** هَـذَا التَّقِـيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِـرُ الْعَلَمُ

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ، إنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ ** بِجَـدِّهِ أَنْبِيَـاءُ اللهِ قَـدْ خُتِمُـوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا؟ بضَائِرِهِ ** العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالْعَجَمُ

٦ـ التعريض بغباوة المخاطب: حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس، كقول الفرزدق:

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ** إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

٧ـ بيان حال المسند إليه في القرب، والتوسط، والبعد، والأمثلة على الترتيب:

(هذه بضاعتنا)، و(ذاك والدي)، و(ذلك يوم الوعيد).

جـ ـ يُعرَّفُ المسند إليه بالموصولية لأغراض بلاغية منها:

١ـ التشويق إلى الخبر المتأخر: وذلك يتأتى إذا كان مضمون صلة الموصول حكما غريبا، مثل قول أبي العلاء المعري في وصف ناقة صالح عليه السلام:

والَّذِي حَارَتْ الْبَرِيَّةُ فِيهِ ** حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ

حيث عرف المبتدأ المسند إليه باسم الموصول «الذي» دون غيره من ألوان التعريف؛ لأن ما بعده وهو صلة الموصول «حارت البرية فيه» يدعو إلى العجب، ويشعر بالغرابة، وهذا أمر يشوق النفس إلى معرفةالخبر المتأخر.

٢ـ التنبيه على خطأ المخاطب:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[الأعراف: ١٩٤]، حيث عرف المسند إليه وهو اسم إن بالموصولية تنبيهـًا على خطأ المخاطب فى دعوتهم وعبادتهم للأصنام من دون الله.

٣ـ تعظيم شأن المحكوم به: وهو المسند، من ذلك قول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ** بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

حيث عرف المسند إليه بالموصولية تعظيمًا لشأن الخبر المحكوم به فى قوله: (بنى لنا بيتا) ... إلخ.

٤ـ التهويل: كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ [طه:٧٨]، وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم:١٠]، ومثله قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾[النجم:١٦]، وقوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤].

فمجيء المسند إليه معرفا بالموصولية في هذه الآيات أفاد التفخيم والتهويل لكل ما لا يمكن وصفه، والإحاطة به في الأمور التي تتحدث عنها هذه الآيات الكريمة.

٥ـ الإشارة إلى وجه بناء الخبر: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠]، فتعريف المسند إليه بالموصولية أشار إلى أن الخبر سيكون من جزاء العمل.

٤ ـ الأسرار البلاغية لتنكير المسند إليه

يؤتى بالمسند إليه نكرة لأغراض بلاغية منها:

١ـ التكثير: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤] فتنكير نائب الفاعل المسند إليه «رسل» أفاد كثرة الرسل الذين كذبهم أقوامهم.

٢ـ التقليل: من ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، أي لو كان لنا من الأمر ولو شيء قليل ضئيل ما قتلنا ها هنا فتنكير المسند إليه «شيء» اسم كان هنا أفاد التقليل.

٣ـ التعظيم والتحقير: وقد جمعها قول مروان بن أبي حفصة:

لَـهُ حَاجِـبٌ عَـنْ كُلِّ أَمْـرٍ يَشِـينُهُ *** وَلَيسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ

حيث وردت كلمة (حاجب) مرتين، الأولى للتعظيم، والثانية للتحقير، فمعنى الأولى له حاجب عظيم يَحْجُبُه عن كلِّ أمر يَشِينُهُ وينزل من قدره، والثانية في آخر البيت للتحقير، أي: ليس له حاجبٌ ما ولو كان حاجبا صغيرا ضئيلا حقيرًا يَحجب عنه طلاب المعروف الذين تعودوا على جوده وكرمه وعطاياه.

٤ـ التهويل: مثل قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، فتنكير المسند إليه المبتدأ المؤخر «بلاء»؛ للتهويل.

ومثله قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]، فتنكير المسند إليه المبتدأ المؤخر «خزي» للتهويل أي: خزي هائل فظيع لا يكاد يوصف لهوله.

٥ـ التفخيم: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠١] فتنكير المسند إليه الفاعل «رسول» للتفخيم، ووصف الرسول بأنه آت من عند الله؛ لإفادة مزيد من التعظيم والتفخيم.

ـ ومن ذلك قول الجيداء بنت زاهر الزبيدية في رثاء زوجها الذي قتله عنترة ابن شداد في الجاهلية:

يَا لَقَوْمِي قَدْ قَرَّحَ الدَّمْعُ خَدِّي ** وَجَفَانِي الرُّقَادُ مِنْ عِظَمِ وَجْدِي

كَانَ لِي فَـارِسٌ سَـقَاهُ الْمَنَايَـا ** عَبْـدُ عَبْـسٍ بِجَـوْرِهِ وَالتَّعَـدِّي

فتنكير المسند إليه «فارس» للتفخيم.

٦ـ **العموم** من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:٤٨] فتنكير المسند إليه «نفس» لإفادة العموم، وهناك قاعدة ـ يجب على أبنائنا الطلاب حفظها ـ تقول: «النكرة في سياق النفي تفيد العموم»، وهنا ورد المسند إليه نكرة وسبقه الفعل المضارع المنفي «لا تجزي» فانطبقت القاعدة على هذا المثال تماما، وقس على هذا غيره.

٥ ـ الأسرار البلاغية لتقديم المسند إليه

الأصل في (المسند إليه) التقديم؛ لأن مدلوله يرد أولا في ذهن المخاطب؛ ولتقديمه أغراض كثيرة منها:

١ـ **تعجيل المسرة**: وهذا يتأتى إذا كان اسم المسند إليه المتقدم يتضمن ما يدخل البهجة والسعادة على المخاطب مثل: «نجاحُك أعلن اليوم»، «الجائزة الأولى من نصيبك»، و«العفوُ عنك صدر به الأمر»، و«براءة المتهم حكم بها القاضي»، و«الإفراج عن قريبك تم اليوم».

٢ـ **تعجيل المساءة**: وهذا يتأتى إذا كان اسم المسند إليه المتقدم يتضمن ما يدخل الحزن والضيق والكآبة على المخاطب مثل: «القصاص حكم به القاضي»، ومثله قولك لمن تخاطبه: «السجن موطنك والقبر عاقبتك». أو «السجن لمدة عامين جزاء فعلتك»، ومثله: «السفاح في دار صديقك»، و«الراسب أنت»، و«الفشل أصيب به العدو» و«الخسائر في جيشه فادحة» .

٣ـ **التبرك بتقديم المسند إليه**: مثل: «اسم الله اهتديت به»، وكقولنا: «محمّد النبيّ ﷺ رسول حقّ»، ومثل ذلك: «الله سندي، الله خالقي»، «الكعبة قبلتي»، «القرآن جليسي»، فتقديم المسند إليه فى هذه الأمثلة الغرض منه التبرك.

٤ـ **التلذذ بالمسند إليه**: وحينئذ يكون ذكره أقرب للنفس فيُقدم في اللفظ على غيره: مثل «ليلى وصلت»، ومثل: «حبيبي شمس للمعالي».

٥- إفادة التخصيص، إذا كان المسند إليه مسبوقا بنفي، وكان المسند فعلاً: نحو: (ما أنا قلت هذا) والمراد: إني لم أقله، لكنَّ غيري قاله، فالنفي هنا واقع على المتكلم ثابت لغيره.

ومثله قول المتنبي معتذرا لسيف الدولة:

مَـا أَنَـا أَسْـقَمْتُ جِسْـمِي بِـهِ ** وَلا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْـبِ نَـارَا

والمعنى كما يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني هذا السقم الموجود والضرم الثابت في القلب ما أنا جالبا لهما، فالقصد إلى نفي كونه فاعلا لهما لا إلى نفيهما، ولهذا لا يقال ما أنا قلت ولا أحد غيري؛ لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الأول بل يقال: ما قلت أنا ولا أحد غيري.

٦- تقوية الحكم وتقريره وتأكيده: مثل: «محمد يهب الجزيل»، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، حيث تقدم المسند إليه «الشمس» على الفعل «ينبغي»، وأصل الكلام: «لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر»، والغرض من ذلك هو تقوية الحكم المنفي فإنه أبلغ من أن يقول: لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر، ومثله قولك: «أنت لا تكذب» بتقديم المسند إليه فهو أبلغ من قولك: لا تكذب فإنه أشد لنفي الكذب من العبارة الثانية.

***

ملخص الدرس

المسند إليه: هو ما يقابل في المصطلحات النحوية: المبتدأ والفاعل ... إلخ، وهو المحكوم عليه في الجملة.

أ ـ من الأغراض البلاغية لذكر المسند إليه:

(١ـ زيادة التقرير والإيضاح ٢ـ التلذذ ٣ـ التعظيم

٤ـ التعجب ٥ـ الإهانة).

ب ـ من الأغراض البلاغية لحذف المسند إليه:

(١ـ ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر أو وجع.

٢ـ إخفاء الأمر عن غير المخاطب. ٣ـ تيسّر الإنكار عند الحاجة

٤ـ تعيّن المسند إليه ٥ـ الحذر من فوات فرصة).

ج ـ من الأغراض البلاغية لتعريف المسند إليه:

١ـ يعرف المسند إليه بالعلمية لأغراض منها: (المدح ـ الذم والإهانة ـ التفاؤل ـ التشاؤم ـ التلذذ).

٢ـ يعرف المسند إليه بالإشارة لأغراض بلاغية منها:

تعظيم درجة المسند إليه بالقرب والبعد ـ تحقير درجة المسند إليه بالقرب والبعد ـ كمال العناية به، وتمييزه أكمل تمييز ـ التعريض بغباوة المخاطب ـ بيان حال المسند إليه في القرب، والتوسط، والبعد.

٣ـ يعرف المسند إليه بالموصولية لأغراض بلاغية منها: التشويق ـ التنبيه على خطأ المخاطب ـ تعظيم شأن المحكوم به ـ التهويل ـ الإشارة إلى وجه بناء الخبر.

د ـ من الأغراض البلاغية لتنكير المسند إليه:

(١ـ التكثير ٢ـ التقليل ٣ـ التعظيم والتحقير

٤ـ التهويل ٥ـ التفخيم ٦ـ العموم).

هـ ـ الأسرار البلاغية لتقديم المسند إليه:

(١ـ تعجيل المسرة ٢ـ تعجيل المساءة ٣ـ التلذذ

٤ـ التبرك ٥ـ التخصيص ٦ ـ التقرير والتوكيد).

إثراءات

لاحظ أن: مصطلحات النحاة تختلف عن مصطلحات البلاغيين فما يطلق عليه النحاة مبتدأ وفاعلا واسم كان واسم إن إلخ ... يسميه البلاغيون «مسندا إليه» .

لاحظ أن: ما يسميه النحاة خبرًا وفعلًا وخبر كان وخبر إِنَّ إلخ... يسميه البلاغيون «مسندًا» .

انتبه إلى أن: أحوال المسند إليه هي الكيفيات والأوضاع التي يأتي عليها في الكلام من ذكره وحذفه وتعريفه وتنكيره، وتقديمه، وإذا أحسن المتكلم وضع هذه الكيفيات التعبيرية في مكانها المناسب جاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال.

انتبه إلى أن: الأغراض البلاغية لأحوال المسند إليه كثيرة غير محصورة، والمذكور هنا على سبيل المثال فحسب.

مفاهيم: المسند إليه وهو المحكوم عليه، والمسند هو المحكوم به.

* * *

التدريبات

التدريب الأول: اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي:

١ـ قال الشاعر: عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ** شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ

الغرض من حذف المسند إليه (ضيق المقام ـ المدح ـ الذم)

٢ـ قال الشاعر: حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ ** وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ

الغرض من حذف المسند إليه (الذم ـ البيان بعد الإبهام ـ العلم به)

٣ـ أنت الذي أعانني، وأنت الذي سرني: الغرض من ذكر (أنت) ثانيا:

(زيادة التقرير والإيضاح ـ تعجيل المسرة ـ تعجيل المساءة)

إجابة التدريب الأول

١ـ قال الشاعر: عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ ** شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ

الغرض من حذف المسند إليه (ضيق المقام ـ المدح ـ الذم)

٢ـ قال الشاعر: حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ ** وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ

الغرض من حذف المسند إليه (الذم ـ البيان بعد الإبهام ـ العلم به)

٣ـ أنت الذي أعانني، وأنت الذي سرني: الغرض من ذكر (أنت) ثانيا:

(زيادة التقرير والإيضاح ـ تعجيل المسرة ـ تعجيل المساءة)

التدريب الثاني:

ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (X) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:

١. ( ) لايمكن حذف المسند إليه.

٢. ( ) يعرف المسند إليه بالموصولية فقط.

٣. ( ) يعرف المسند إليه بطرق التعريف المختلفة لأغراض بلاغية.

٤. ( ) الأغراض البلاغية لذكر المسند إليه محددة.

٥. ( ) الأغراض البلاغية لحذف المسند إليه متعددة.

٦. ( ) ضيق المقام يعني ضيق المكان.

٧. ( ) تقديم المسند إليه ليس له أغراض بلاغية؛ لأنه هو الأصل.

٨. ( ) لايمكن تنكير المسند إليه لأنه المحكوم عليه.

٩. ( ) حذف المسند إليه يكون للإيجاز فقط.

١٠. ( ) التهويل من الأغراض البلاغية لتعريف المسند إليه بالموصولية.

إجابة التدريب الثاني

١. (x).   ٢. (x).   ٣. (√).   ٤. (x).   ٥. (√).

٦. (x).   ٧. (x).   ٨. (x).   ٩. (x).   ١٠. (√).

التدريب الثالث:

صل من المجموعة (أ) ما يناسبه من المجموعة (ب)

أ	ب
ـ من طرق تعريف المسند إليه	لأغراض منها التقرير والإيضاح
ـ يذكر المسند إليه	عند وجود القرينة
ـ يحذف المسند إليه	لأنها تتنوع بتنوع السياقات
ـ أحوال المسند إليه تتنوع	العلمية،والموصولية،والإشارة ....
ـ لا يمكن حصر أغراض حذف المسند إليه.	من حذف إلى ذكر إلى تعريف إلى تنكير إلى تقديم .

التدريب الرابع:

أجب عن المطلوب أمام كل مما يلي:

ـ المسند إليه: عرف به.

ـ حذف المسند إليه: اذكر ثلاثة من أغراضه، مع التمثيل.

ـ تعريف المسند إليه بالإشارة: اذكر ثلاثة من أغراضه، مع التمثيل.

التدريب الخامس:

حدد المسند إليه، وبين حالته، والغرض البلاغي له فيما يأتي:

١ - عَلِيــلُ الْجِسْــمِ مُمْتَنِــعُ الْقِيَــامِ ** شَـدِيدُ السُّـكْرِ مِـنْ غَـيْرِ المُـدَامِ

٢ - بِـالله يَاظَبيَـاتِ الْقَـاعِ قُلْـنَ لَنَـا ** لَيْلايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

٣ - أُولَئِـكَ آبَائِـي فَجِئْنِـي بِمِثْلِهِـمْ ** إِذَا جَمَعَتْنَــا يَــا جَرِيــرُ الْمَجَامِــعُ

❊ ❊ ❊

الدرس الثاني

أحوال المسند، وأغراضه البلاغية

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١. يذكر الأغراض البلاغية لذكر المسند .

٢. يذكر الأغراض البلاغية لحذف المسند .

٣. يشرح الأغراض البلاغية لتعريف المسند .

٤. يستخرج من أمثلة مقدمة له الأغراض البلاغية لتنكير المسند إليه .

٥. يأتي بأمثلة للأغراض البلاغية لكون المسند فعلا أو اسما.

٦. يشرح الأغراض البلاغية لتقديم المسند .

٧. يأتي بأمثلة للأسرار البلاغية لتقديم المسند إليه.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس الأغراض البلاغية لذكر المسند، وأغراض حذفه وتعريفه، وتنكيره، وتقديمه، والأغراض البلاغية لكون المسند فعلا أو اسما.

شرح الدرس

تمهيد:

المسند هو الجزء المتمم للفائدة، وهو المحكوم به، وبدونه لا يتم المعنى في الجملة، والمسند في البلاغة يقابل في النحو الخبر في الجملة الاسمية، والفعل في الجملة الفعلية، وغير ذلك كما مر تفصيله.

المسند في الجملة العربية يتمثل في الآتي بيانه:

أ ـ خبر المبتدأ: مثل: «محمد رسول الله»، «الحياة كفاح» .

ب ـ أخبار الأفعال الناقصة الناسخة، وهي كان وأخواتها، مثل: «صار الجو معتدلًا» .

ج ـ أخبار الحروف الناسخة، وهي إن وأخواتها مثل: «إن الصدق فضيلة» .

د ـ المفعول الثاني لظن وأخواتها؛ لأن أصله خبر المبتدأ مثل: «ظننت محمدًا مسافرًا» .

هـ ـ المفعول الثالث لأعلم وأرى؛ لأنه أصله خبر كذلك مثل: «أعلمت محمدا العلم نافعا، «أريت محمدًا الحق ماضيًا» .

و ـ الفعل التام، مثل: «ذاكر الطالب»، «يفهم المجتهد» .

ز ـ اسم الفعل، مثل: (هيهات هيهات لما توعدون)، واسم الفعل كلمة تدل على فعل معين، وتحمل معناه وزمنه، وهو إما اسم فعل ماضٍ مثل: (هيهات بمعنى شتان، واسم فعل مضارع مثل: آه بمعنى أتوجع، واسم فعل أمر مثل: دَرَاكِ بمعنى أدرك).

س ـ ما الأوجه التي يمكن أن يأتي عليها المسند الخبري في الجملة العربية؟

ج ـ يمكن أن يقع المسند مفردًا، مثال ذلك: الله غفور، فالمسند غفور، لفظ مفرد.

ـ يمكن أن يقع جملة فعلية، مثل: «الله يعطى الخير»، فقولنا: «يعطى الخير» جملة فعلية في محل رفع خبر «مسند» .

ـ يمكن أن يقع جملة اسمية، مثل: «محمد أخوه كريم»، فقولنا: أخوه كريم، جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل رفع خبر المبتدأ «محمد» .

ـ يمكن أن يقع شبه جملة، مثل: المؤمن في الجنة، فالمسند هنا «في الجنة» جار ومجرور.

ويطرأ على المسند ما يطرأ على المسند إليه من الحذف والذكر والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير، وغير ذلك، ووراء كل حال من هذه الأحوال أغراض بلاغية.

أ ـ الأغراض البلاغية لذكر المسند

يذكر المسند للأغراض البلاغية التي سبقت في ذكر المسند إليه، ومنها:

١ ـ أن ذكره هو الأصل: وليس في الكلام ما يدعو لحذفه، من ذلك قولنا: العلم خيرٌ من المال، فالمسند «خير» ليس في الكلام ما يدعو لحذفه، وإلا انبهم المعنى.

٢ ـ ضعف التعويل على دلالة القرينة نحو: «حالي مستقيم، ورزقي ميسور»، إذ لو حذف ميسور؛ لا يدل عليه المسند المذكور في الجملة الأولى، وهو مستقيم.

٣ـ ضعف تنبه السامع: نحو: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم:٢٤]، إذ لو حذف المسند «ثابت» في قوله «أصلها ثابت» ربما لا يتنبه له السامع؛ لضعف تنبهه.

٤ـ الرد على المخاطب: نحو: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[يس:٧٩]، بعد قوله تعالى حكاية: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [يس:٧٨] حيث أعاد عند الجواب في الآية الأولى ذكر المسند وهو الفعل «يحييها» بالرغم من ذكره في السؤال في الآية الثانية في قوله: «قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ» .

٥ـ التجدد والحدوث: وذلك حينما يكون المسند جملة فعلية، أو فعلا، فالأول: نحو: (المسلم يقرأ القرآن)، والثاني: مثل قوله تعالى في شأن المنافقين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[البقرة: ٨، ٩]، فجملة «يقرأ القرآن» جملة فعلية تدل على التجدد والحدوث؛ لأن المسلم لا يقرأ القرآن في كل لحظة وحين بل يقرأه مرة ثم ينقطع لعمله أو لشئون حياته، ثم يعود إليه مرة أخرى فقراءته للقرآن متجددة وحادثة حينـًا بعد حين، وكذلك الحال في قوله: يخادعون» فالمخادعة تحدث وتتجدد من المنافقين حينًا بعد حينٍ.

ب ـ الأغراض البلاغية لحذف المسند

يحذف المسند بشرط أن تدل على الحذف قرينة، وأن يكون وراء الحذف غرض بلاغي، والقرينة نوعان:

النوع الأول: قرينة مذكورة: كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان:٢٥]،أي: ليقولن خلقهن الله، فحذف المسند خلق؛ لذكره صراحة في السؤال، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧]. والتقدير: «ليقولن خلقهم الله»، فحذف المسند خلق؛ لذكره صراحة في السؤال.

النوع الثاني: قرينة مقدرة كقوله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا

تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٦٣ ، ٣٧] أي: يسبحه رجال، كأنه قيل: من يسبحه؟ فكان الجواب: (رجال)، وهذا على قراءة بناء الفعل يُسَبِّحُ للمجهول.

ومن هذه الأغراض البلاغية:

١ـ التنزه عن العبث: من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾

[التوبة:٣]، أي: ورسوله بريئ منهم أيضا، فلو ذكر «المسند» المحذوف لكان ذكره عبثا؛ لعدم الحاجة إليه، وحاشا وكلا أن يكون في كلامه سبحانه وتعالى عبث.

٢ـ ضيق المقام عن ذكره: كقول عمرو بن امرئ القيس الخزرجيّ:

نَحْـنُ بِـمَا عِنْدَنَـا، وَأَنْـتَ بِـمَا *** عِنْدَكَ رَاضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

أي: نحن بما عندنا راضون، وحذف المسند «راضون» فيه دلالة على ضيق صدورهم، وخلو قلوبهم من الرضا.

٣ـ اتباع الاستعمال الوارد: وذلك يتأتى في الأساليب العربية التي يحذف المسند منها وجوبا، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ:٣١]، فالمسند محذوف وجوبا تقديره: موجودون،أي: لولا أنتم موجودون، ويبقى الأمر بعد ذلك في سر اختيار هذا النمط من الأساليب دون سواه، والغرض فيها نراه يعود للعناية بالمبتدأ، وتوجيه الاهتمام إليه وحده دون سواه.

جـ ـ الأغراض البلاغية لتعريف المسند

من هذه الأغراض:

١ـ إفادةُ السامع حكمًا على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله بإحدى طرق التعريف، نحو: هذا الخطيب، وذاك نقيب الأشراف.

٢ـ إفادة قصر المسند على المسند إليه.

أ ـ حقيقة: نحو: محمد خاتم الأنبياء، إذ لا خاتم للأنبياء سواه.

ب ـ أو ادعاء: مبالغة لكمال معناه في المسند إليه، نحو: (شوقي شاعر العربية) حيث خرج الكلام في صورةٍ تُوهم أنه لم يكن في العرب شاعر سواه ؛ تنبيها على كماله في هذه الصفة.

د ـ الأغراض البلاغية لتنكير المسند

ـ ينكَّر المسند لعدم وجود ما يوجب تعريفه لأغراض منها:

١ـ **قصد إرادة العهد، أو الحصر**: نحو: أنت أمير ـ هو وزير.

٢ـ **إفادة التفخيم**: نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، فالتنكير في المسند هدى للتفخيم، ومعلوم أن هدى في الآية خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو: أي: هو هدى للمتقين.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ﴾ [يس: ٣٦]، فتنكير المسند وهو الخبر المقدم «آية» لغرض التفخيم.

٣ـ **إفادة التكثير**: مثل «هذه نعمٌ» فالتنكير في المسند «نعم» يفيد التكثير.

٤ـ **إفادة العموم**: نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ﴾ [الأحزاب:٣٦].

حيث «نكر المسند ـ خبر كان ـ لإفادة العموم .

هـ ـ الأغراض البلاغية لتقديم المسند

يقدم المسند على المسند إليه لأغراض بلاغية منها:

١ـ **تخصيص المسند بالمسند إليه**، نحو قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾[الشورى:٤٩]، فتقديم المسند «لله» أفاد التخصيص أي أن هذا المُلك هو لله دون سواه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١] حيث تقدم المسند الجار والمجرور له على المسند إليه الملك، وعلى المسند إليه «الحمد» في قوله تعالى: [لَهُ الْـمُلْكُ وَلَهُ الْـحَمْدُ]؛ لإفادة التخصيص أي: له ـ سبحانه ـ وحده الملك لا شريك له في ملكه، وله سبحانه وتعالى الحمد لا ينبغي أن يُوَجَّه لغيره. فتقديم المسند ها هنا دل على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل لا بغيره.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، فتقديم المسند الجار والمجرور الخبر المقدم في الآيتين أفاد التخصيص .

٢ـ **تشويق السامع للمسند إليه المتأخر**: مثل قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:١٩٠]، فالمسند: الجار والمجرور الخبر المقدم «فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»، والمسند إليه (لآيَاتٍ) وهو اسم (إن) مؤخر، وتقديم المسند فيه إثارة للذهن، وتشويق لمعرفة المسند إليه المؤخر.

ومثله قول محمد بن وهيب الحِمْيَري يمدح الخليفة العباسي المعتصم بالله:

ثَلاثَـةٌ تُـشْرِقُ الدُّنْيَـا بِبَهْجَتِهَـا ❊ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

أصل الكلام: شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ ثَلاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا، ولكنه قدم المسند «ثلاثة» على المسند إليه شَمْسُ الضُّحَى الخ؛ لأن في التقديم تشويقا واضحا للمسند إليه المؤخر.

ومثله قول أبي العلاء المعري واعظا:

وَكَالنَّارِ الْـحَيَاةُ فَمِـنْ رَمَـادٍ ❊ أَوَاخِرُهَـا وَأَوَّلُهَـا دُخَـانُ

حيث قدم المسند: «كالنار» على المسند إليه الحياة، وفي هذا التقديم تشويق للمخاطب لمعرفة المسند إليه.

٣ـ **التفاؤل**: ويتأتى إذا تقدم لفظ من دلالته إدخال الفرحة والتفاؤل على مَنْ تُخَاطبه، مثل قول الشاعر:

سَـعِدَتْ بِغُـرَّةِ وَجْهِـكَ الأَيَّـامُ ❊ وَتَزَيَّنَـتْ بِلِقَائِـكَ الْأَعْـوَامُ

فقد تأخر المسند إليه، وهو ما تحته خط في الشطرين، وتقدم المسند وهو الفعل في الشطرين (سعدت ـ تزينت) لما في دلالة كل منهما على التفاؤل والمسرة.

ومثله قولك: «طاب يومك» فالفعل (طاب) مسند، و(يومك) هو المسند إليه، والغرض التفاؤل بما يسر المخاطب، ومثله: «نجحت العملية الجراحية»، و«في عافية أنت»، حيث تقدم المسند الذي يدل على التفاؤل والسرور.

٤ـ **التعجيل بالمساءة**: وذلك حينما يتعلق بالمسند ما يسيء، ويراد التعجيل بالمساءة، من ذلك قول المتنبي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى ❊ عَـدُوًّا لَـهُ مَـا مِـنْ صَدَاقَتِـهِ بُـدُّ

حيث قدم المسند وهو ما تحته خط، تعجيلا بالمساءة.

٥ـ **الاهتمام والعناية بالمقدم**: من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾[مريم:٤٦]، حيث قدم المسند «راغب» على المسند إليه «أنت»، ولم يقل

أأنت راغب؛ للعناية والاهتمام بالمقدم، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عليه السلام عن آلهتِهِ، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها، وهذا بخلاف ما لو قال: «أأنت راغب عن آلهتي» .

٦ـ التنبيه من أول الأمر على أن المقدم خبر لا نعت:

كقول أبي بكر النّطّاح في وصف أبي دُلف العجلي:

لَــهُ هِمَــمٌ لا مُنْتَهَــى لِكِبَارِهَــا ✻ وَهِمَّتُــهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِــنَ الدَّهْرِ

فلو أخر «له» لَظُنَّ أنه نعت للنكرة «همم»؛ لأن الجملة أوشبه الجملة بعد النكرات صفات، فلما تقدم الجار والمجرور على لفظة «همم» النكرة تعين أن المقدم خبر والمؤخر مبتدأ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦] .

✻ ✻ ✻

ملخص الدرس

نخلص في هذا الدرس إلى أن:

المسند: هو الخبر، والفعل التام، الذي به تتم الفائدة.

أ ـ الأغراض البلاغية لذكر المسند: ١ـ أن ذكره هو الأصل، وليس في الكلام ما يدعو لحذفه.

٢ ـ ضعف التعويل على دلالة القرينة. ٣ـ ضعف تنبه السامع.

٤ـ الرد على المخاطب. ٥ـ التجدد والحدوث.

ب ـ الأغراض البلاغية لحذف المسند:

يحذف المسند بشرط أن تدل على الحذف قرينة، وأن يكون وراء الحذف غرض بلاغي، والقرينة نوعان: (مذكورة ـ مقدرة).

من أغراض حذف المسند:

١ـ التنزه عن العبث ٢ـ ضيق المقام عن ذكره. ٣ ـ اتباع الاستعمال الوارد.

جـ ـ الأغراض البلاغية لتعريف المسند وتنكيره:

يعرّف المسند: ١ ـ لإفادة السامع حكما على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله بإحدى طرق التعريف.

٢ـ لإفادة قصره على المسند إليه حقيقة.

ينكّر المسند لعدم وجود ما يوجب تعريفه لأغراض منها:

١ـ قصد إرادة العهد، أو الحصر ٢ـ إفادة التفخيم. ٣ـ إفادة التكثير.

د ـ الأغراض البلاغية لتقديم المسند:

يقدم المسند على المسند إليه لأغراض بلاغية منها:

١ـ التخصيص بالمسند إليه. ٢ـ التشويق للمتأخر. ٣ـ التفاؤل.

٤ـ إفادة قصر المسند إليه على المسند. ٥ـ التعجيل بالمساءة.

إثراءات

لاحظ أن: ما يطلق عليه النحاة خبرا وفعلا يسميه البلاغيون «مسندا» .

لاحظ أن: القرينة التي تدل على المحذوف نوعان لفظية مذكورة في الكلام نتلفظ بها أو مقدرة نستشفها من سياق الكلام.

انتبه إلى أن: أحوال المسند هي الكيفيات والأوضاع التي يأتي عليها في الكلام من ذكره وحذفه وتعريفه وتنكيره، وتقديمه، وإذا أحسن المتكلم وضع هذه الكيفيات التعبيرية في مكانها المناسب جاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال.

انتبه إلى أن: الأغراض البلاغية لأحوال المسند كثيرة غير محصورة، والمذكور هنا هو على سبيل المثال لا الحصر.

مفاهيم: المسند والمسند هو المحكوم به وهو الجزء المتمم للفائدة.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[التوبة:٦٢] .

الغرض من حذف المسند (التأكيد على أن رضا الله ورسوله واحد ـ ضيق المقام ـ المدح)

٢ ـ الله يرعانا: جاء المسند جملة فعلية لقصد:

(التجدد والحدوث ـ الاستمرار ـ التأكيد)

إجابة التدريب الأول

١ ـ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[التوبة:٦٢] .

الغرض من حذف المسند (التأكيد على أن رضا الله ورسوله واحد ـ ضيق المقام ـ المدح)

٢ ـ الله يرعانا: جاء المسند جملة فعلية لقصد:

(التجدد والحدوث ـ الاستمرار ـ التأكيد)

التدريب الثاني:

ضع إشارة (√) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (x) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:

١. (   ) من أغراض حذف المسند عدم ضيق المقام عن ذكره.

٢. (   ) لايمكن حذف المسند.

٣. (   ) المسند يأتي نكرة دائما.

٤. (   ) من الأغراض البلاغية لتنكير المسند التكثير.

٥. (   ) الأغراض البلاغية لحذف المسند متعددة.

٦. (   ) ضيق المقام من أغراض حذف المسند.

٧. (   ) من الأغراض البلاغية لتقديم المسند التخصيص.

٨. (   ) لا يمكن تنكير المسند؛ لأنه المحكوم به.

٩. (   ) حذف المسند يكون للإيجاز فقط.

إجابة التدريب الثانى

١ . (x).   ٢ . (x).   ٣ . (x).   ٤ . (√).   ٥ . (√).

٦ . (√).   ٧ . (√).   ٨ . (√).   ٩ . (x).

التدريب الثالث:

أجب عن المطلوب أمام كل مما يلي:

ـ المسند: عرف به.

ـ حذف المسند: اذكر ثلاثة من أغراضه، مع التمثيل.

ـ تعريف المسند: اذكر ثلاثة من أغراضه، مع التمثيل.

التدريب الرابع:

صل من المجموعة (أ) ما يناسبه من المجموعة (ب)

أ	ب
ـ من أغراض تنكير المسند	لأغراض منها التقرير والإيضاح.
ـ يذكر المسند	عند وجود القرينة.
ـ يحذف المسند	لأنها تتنوع بتنوع السياقات.
ـ أحوال المسند تتنوع	التقليل ـ التكثير ـ التعظيم.
ـ لا يمكن حصر أغراض حذف المسند	من حذف إلى ذكر إلى تعريف إلى تنكير إلى تقديم.

❊ ❊ ❊

قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات

تم بحمد اللّه